الفكر

وصناعته وأزماته

أسامة عبد الرحمن

الباب الأول
الفكر وأغراضه

الفكر وأغراضة وحقيقته:

الفكر مصطلح يُستخدم في الدراسات المتعلقة بالعقل البشري، ويشير إلى قدرة العقل على تصحيح الاستنتاجات بشأن ما هو حقيقي أو واقعي، وبشأن كيفية حل المشكلات ويمكن تقسيم النقاش المتعلق بالفكر إلى مجالين فيهما استمر استخدام الفكر والذكاء كمصطلحين مرتبطين ببعضهما البعض ويحدث التفكير لأغراض متعددة مثل:الفهم والاستيعاب واتخاذ القرار والتخطيط، وحل المشكلات والحكم على الأشياء والإحساس بالبهجة والاستمتاع والتخيل والانغماس في أحلام اليقظة .

ومفهوم الفكر؛يردده الكثيرون مفردًا وموصوفًا ومضافاً وقد ورد في كتاب الله بألفاظ عديدة يغلب أن تكون من الأفعال (يتفكرون، تتفكرون) والمعنيون ببيان المقصود بألفاظ القرآن حين يجمّعون الآيات التي ورد فيها هذا المفهوم يجدون القدر المشترك بينها: أنّه قوة منحها الله للإنسان وكرّمه بها وفضّله وميّزه على بقيّة الموجودات ليتمكن من مهام الاستخلاف فالتفكير يعين الإنسان على أن ينتقل من مجموع مَا علمه إلى المعلومات التي يجهلها بحسب نظر العقل في الأنفس والآفاق وآلاء الله ونعمه والفكر توليد أفكار عن أفكار، قامت لها في عقل الإنسان أو فطرته صور ينطلق منها في توليد أفكار ترسم صورًا وتوجد تصورات لما يجهله قال جل شأنه: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ]والآيات فى هذا الباب كثيرة فيستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها ويسوي المتكلمون بين الفكر والنظر، ويرى بعضهم أنهما مترادفان أو شبه مترادفين، ويتحدثون كثيرًا عمّا يفيده النظر والفكر أيفيد العلم؟ والتحقيق أنّه يفيد الظنّ، وبعضه قد يفيد العلم إذا توافرت له شروط إفادته .

التفكير السريع وأهميته :

لم نفكر في يوم من الأيام أن نغير طريقة تفكيرنا، أما في الـ٣٠ السنة الماضية تم اكتشاف عشرات الطرق لتطوير طريقة التفكير ومنها خريطة العقل التي من خلالها نرسم الأفكار وتعود أهمية التفكير السريع إلى ضرورته فى: التخطيط للأعمال- تقوية الذاكرة وتطوير قدرات العقل والذكاء- التعلم والمذاكرة والتلخيص وكسب المهارات الجديدة- الإبداع والابتكار والتفكير واستمطار الأفكار- حل المشكلات واتخاذ القرارات- وخرائط العقل مهارة يمكن تعلمها مثل الكتابة والقراءة- التخطيط الشخصي الفعال.

قوة التفكير:

الفكر كرامة الانسان التى تكمن فى فكرة باسكال فالفكر هو المقياس الذى يميز به الانسان البدائل ويختار ما هو أحسن لسعادتة واحفظ لمستقبلة ومستقبل أسرتة قال الشيخ محمد متولى الشعراوى بواسطة الفكر يستطيع الإنسان أن يقيم اختياراته قال جيمس لين: فى علم النفس الاجتماعى عرف العلماء الفكر على أنه من أهم الاشياء التى تميز الانسان عن الحيوان أو النبات أو الجماد وبواسطته يستطيع الاتسان أن يقارن بين ما هو مفيد أو غير مفيد وما هو حلال أو حرام وبذلك يستطيع أن يختار ما يتاسبه من الأشياء ويكون مسئولاً عن اختياراته.

والفكر له برمجة راسخة من مصادر التلقى فالوالدان أول برمجة فى حياتنا ، من الأم والأب نتعلم الكلمات ومعانيها وتعبيرات الوجه وتغيراته والسلوكيات والقيم والاعتقادات الدينية والمحيط العائلى وما يقوله الناس فى الجو الاجتماعى الذى نعيش فيه وأسلوب المدرسين والمسئولين بها من كلمات وتعبيرات وأخلاقيات الأصدقاء .

الفكر والتفكير:

من الصعب جدًّا التفريق بين الفكر والتفكير، وغالبًا ما يُذكر تعريف الفكر على أنه التفكير، فيذكرون في تعريف التفكير معانيَ تدور حول إعمال العقل والذهن والخاطر في الوصول إلى المطلوب، من خلال مُعطيات معيَّنة، ولا نريد الدخول في متاهات المصطلحات، ولكن لنَعلم أن الفكر هو الأداة التي وهَبها الله للإنسان؛ لتحقيق رسالته في الأرض، أما التفكير فهو العملية التي تَستعمل هذا الفكر للوصول إلى النتائج، من خلال المقدمات والمُدخلات التي نُدخلها له ولك أن تتصوَّر أنه كلما قرأت ١٠ آيات من القرآن الكريم، تمرُّ عليك آية فيها دعوة لإعمال الفكر، ألا يُبيِّن ذلك أهمية هذه القضية؟ بل إن الله بيَّن أن الحكمة من إنزال القرآن هي تدبُّر آياته؛ ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ وهل التدبُّر إلا صورة من صُور إعمال الفكر، وثبَت عنه - ص- أنه قال: لقد أُنزِلت عليَّ الليلة آية، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ .

خصائص الفكر:

أما خصائص الفكر، فيُمكن إجمالها في خمس خصائص:

الفكر هِبَة ربَّانية:فهو مِنحة من الله، ومن أجَلِّ النِّعم، فقد ميَّز الله بها الإنسانَ عن الحيوان، كما أنه جعل العقل مناط التكليف فمن فقَد عقله أداة التفكير فلا تكليف عليه؛ كما قال ص:- رُفِع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يَستيقظ، وعن الصبي حتى يَحتلم، وعن المجنون حتى يَعقِل.

كل إنسان يفكر: قد نظنُّ أن بعض الناس لا يُفكِّر لموقف يمرُّ به، والحقيقة أن الموقف لم يدفعه نحو التفكير، ولم يكن كافيًا من أجْل دفْعه نحو التفكير

والدليل على ذلك أنك تجده في مواقفَ أخرى من أحسن الناس تصرُّفًا، فالفاشل دراسيًّا لا بد أن يكون ناجحًا، أو لديه القدرة على النجاح في أشياءَ أخرى، والذي لم يَنجح في موقف ولم يُحسن التصرف، تَجده من أفضل الناس في مواقفَ أخرى، فكم من المخترعين والمفكِّرين والمبدعين، كانوا غير ناجحين في غير ميدانهم.

لا يعلم تفكيرَك إلا اللهُ:إذا كنتَ في مجلسٍ ما، فحاوِل أن تُخمِّن فيمَ يفكِّر كلٌّ واحد من الموجودين فقد تستطيع معرفة كثيرٍ من الأشياء عن المقابل لك، لكنَّك من الصعب جدًّا أن تعرِف فيمَ يفكِّر؟ فقد يجلس أمام الأستاذ أو المحاضر أكثر من ٥٠ شخصًا، ولا يستطيع أيٌّ منهم أن يتعرَّف على ما في تفكير القريب منه، فضلاً عن البعيد، بل حتى الأستاذ أو المحاضر لا يستطيع أن يَجزم بمعرفة ما يدور في رأسك.

٤- إنه سرٌّ رباني، فالحكمة الربانية اقتضَت أن يستطيع كلٌّ منا أن يَحتفظ بتفكيره الخاص، ويستطيع أن يُظهر لك خلاف ما يدور في رأسه، ومن أوضح الأمثلة على ذلك في الصلاة، فالكثير يَشكو السرحان في الصلاة، فهو يَسمع شيئًا، ويُفكر في شيء آخرَ، بعيد كل البُعد عن الموضوع الذي يَسمعه، ومن هنا كانت أول صفات المؤمنين المفلحين: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ فالله وحده فقط هو الذي انفرد بعلم ما يفكِّر فيه الإنسان.

٥-الفكر قابل للتغيير: من أبجديَّات الحساب والجزاء الاختيار، فلا حساب على إجبارٍ، ولا عقوبة على إكراهٍ، وإن كان الفكر هبة ربَّانية، فإن الله أوجَب على العباد أمورًا، وطلب منهم تحقيقها وَفْق منهج محدَّد مهما كانت طريقة تفكير العبد، وهذا يعني بلا شكٍّ أن الإنسان يمكن أن يُغيِّرَ تفكيرَه إلى ما يريده الله، والعكس صحيح فقد يكون التفكير صعبًا، ولكنه ليس مستحيلاً، والتاريخ البشري القديم والحديث خيرُ شاهدٍ على القدرة على تغيير التفكير، وتوجيهه نحو هدفٍ معيَّن .

٦- الفكر يتطوَّر: جمود الفكر من أكبر أسباب ضَعف التطوير في مختلف جوانب الحياة، كما أن تطوير التفكير من أبرز سِمات أهل التقدُّم بمختلف صوره؛ لذا نجد أن الغرب والشرق وأهل الصناعات بالذات وحتى العلوم الإنسانية،يجتهدون في دراساتهم نحو تطوير التفكير وسبُل النهوض به، ويَبتكرون برامجَ ونظريات من أجل ذلك، فمهارات التفكير وغيرها كثير، كلها تَهدف إلى ذلك، ولا ريبَ أن ما نَعيشه من تقدُّم مادي ورُقي إنساني، من نتاج تطوير التفكير وأهل الإيمان وأهل الدعوة عليهم السعي في تطوير تفكيرهم، وتوظيف نِعم الله بما يُسهم في تحقيق عبودية الخلق للخالق سبحانه.

عوامل صناعة الفكر :

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ فالآية تشير إلى خروج العبد إلى الدنيا ومعه ثلاثة نِعم كبيرة هي السمع والبصر والفؤاد، وهذه الأدوات الثلاث، هي الأدوات الأساسية في بناء وتكوين فكر العبد، فالسمع والبصر هما أهمُّ مصادر المعلومات التي ستُخزَّن في الفؤاد، والفؤاد هنا العقل وليس القلب فالسمع والبصر هما بوَّابة دخول المعلومات، والعقل أو المخ هو الذي يقوم بتخزينها، ثَمَّ توظيفها فيما يريد العبد؛ لتَخرج على شكل مخرجات محدَّدة، وأقرب مثالٍ للمخ، جهاز حاسب آلي جديد لديه قدرة هائلة على تخزين المعلومات ومعالجتها، لكنه غير مُبرمج.

وعملية التفكير داخل العقل تَعتمد على عدة عوامل، منها: كم وكيف المعلومات الواردة إليه؛ لذا أودَع الباري سبحانه المخَّ قدرةً هائلة على تخزين المعلومات، فقد اكتشَف البروفسور مارك روزنزن أنه لو تَمَّ تَغذية المخ بعشر معلومات كل ثانية لمدة ستين سنة بدون توقُّف، فإن مقدار ما تَمَّ تخزينه يُعادل أقلَّ من نصف المساحة المخصَّصة للتخزين.

ولو عُدنا إلى الآية ، لوجَدناها تُشير إلى أن الإنسان يُولد من بطن أمه لا يَملِك أيَّ معلومات؛ولكن لديه الأدوات الأساسية لاكتساب المعلومات والقدرة على معالجتها - السمع والبصر والفؤاد - فمن حكمة الخالق - سبحانه - أنْ وهَبَنا أدوات ولم يَهبْنا معلومات، والحصول على المعلومات متيسِّر وسهل إذا أحسنَّا استخدام الأدوات ويمكن القول: إن الإنسان الوحيد الذي وهَبه الله معلومات مع الأدوات هو آدم عليه السلام باعتباره أوَّلَ البشر، ومنه ستَنتقل المعلومات إلى بقية البشر، حيث كان من نِعم الله عليه أن علَّمه الأسماء.

أهم عوامل تكوين الفكر لدى الإنسان:

يَصعُب حصْر جميع العوامل؛ بسب طبيعة خلْق الإنسان وتكوينه البديع، وارتباطه بما حوله من مخلوقات، ويمكن القول أن أهم هذه العوامل خمسة، هي:

١- الموروثات السابقة: وهي مجموعة من العادات والقِيم، والسلوكيات والمعتقدات،يتلقَّاها العبد من السابقين له - الآباء والأُمهات - وهي من أهم المصادر؛ لأنها من أول المعلومات التي تصل إلى المخ، ونتيجة للتَكرار، تترسَّخ تلك الموروثات، حتى تكاد تصل إلى العقل اللاواعي، فتجد العبد يعمل ويقول ويردِّد تلك الموروثات دون تفكيرٍ عميق، بل أحيانًا تُصادم العقل الصحيح، واقرأ معي هذه الآية: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ فالحجة واحدة على مدار التاريخ البشري؛ لذا كان الجواب: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾فهي دعوة للتفكير في هذه الموروثات والنظريات والمعتقدات، فربما جِئتكم بما هو أهدى، أو أنكم قبِلتموها دون تفكيرٍ، ولكن النتيجة المعروفة أنه لا يُؤمِن إلا القليلُ، بمعنى أنه لا يترك تلك الموروثاتِ السابقةَ، حتى لو كانت غير موافقة للعقل، أو غير مبنيَّة على أُسس راسخة

وتذكَّر موقف عم الرسول ص أبي طالب: لما حضَرته الوفاة، دخل عليه النبي ص وعِندَه أبو جهل، فقال: (أيْ عمّ، قُلْ: لا إله إلا الله، كلمة أحاجُّ لك بها عِندَ الله)، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أُمية: يا أبا طالب، تَرغب عن مِلَّة عبدالمطلب، فلم يَزالا يُكلِّمانه، حتى قال آخر شيء كلَّمهم به:على مِلَّة عبدالمطلب.

٢- الدين: الإنسان متديّن بطبعه، أى يَبحث كثيرًا في مسألة الخالق، ولماذا خُلِق؟ فقلَّ أن تجد مجتمعًا إنسانيًّا إلا ولديه عقيدة ودينٌ يَدين به، فهناك من يَعبد الشمس والقمر، والحجر والشجر، والفأر والبقر، والملائكة والبشر، وغيرها كُثُر، وكل من يدَّعي أنه لا يعبد أحدًا، فهو في الحقيقة يعبد هواه وشَهواته؛ كما قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ ومن مستلزمات الأديان أنها تَفرِض على أتباعها نُظُمًا معينة، وعقائدَ محددة تُجاه الحياة والناس والكون، وهذا بلا شكٍّ يُسهم في تشكيل فكر العبد وصياغته بقالبٍ معيَّن، ولو في بعض القضايا والمحاور. فالنظرةُ للمرأة - على سبيل المثال - وللزوج وللحياة الاجتماعية، تَرتبط كثيرًا بما يُمليه الدين، وهذا بدوره يصنع فكرًا تُجاه هذه القضايا، يظهر على شكل سلوكيَّات وأخلاقيات يتصرَّفها العبد في حياته اليومية والاجتماعية.

٣- التجارب: لكي يعيش العبد فلا بدَّ أن يمرَّ بتجارِبَ ومواقفَ في حياته، بعضها إيجابية، وبعضها سلبية، وفي الحالتين، يَكتسب من تلك التجاربِ من جهتين: الأولى: تخزين الموقف، والاحتفاظ به في ذاكرته؛ لاستعادته عند الحاجة، والثانية: معالجة هذا الموقف في العقل والنتائج المترتبة عليه، والعاقل هو الذي يَستفيد من تجارب الآخرين في التخزين، وليس بالضرورة أن يُوافقَهم في طريقة معالجتها ولك أن تتخيَّل كم من المواقف مرَّتْ عليك في حياتك وكم من التجارب حدَثت لك! وكم من النتائج التي حصَلت عليها نتيجة تلك المواقف والتجارب! قد لا تستطيع إحصاءها، لكنها بلا شكٍّ أسهمَت في تشكيل فكرك وطريقة حياتك .

٤- التعليم: فالإنسان يقضي ما لا يقلُّ عن ١٢ سنة من عمره في التعليم؛ أي: أكثر من ١٥٠٠٠ ساعة بين المدرسة والمذاكرة، وإذا أضفنا سنوات الجامعة، فسيُصبح الرقم أكثر من ٢٥٠٠٠ ساعة، ليس هذا فحسب، بل إنها من أفضل السنوات في تكوين وصناعة شخصية العبد؛ حيث عمره ٦ - ٢٢ سنة، بالإضافة إلى حِرص الطالب على النجاح والتفوق؛ مما يتطلَّب الجِد والاجتهاد، ومحاولة فَهْم واستيعاب المواد المقدمة له، فهذه العوامل الثلاثة طول الفترة، وربيع العُمر، والحرص - تجعل التعليم ذا أثرٍ كبير في البناء الفكري للإنسان.

٥- الإعلام: كان يُقال: الناس على دين ملوكهم، وأظنُّنا في زمن الناس على دين إعلامهم، فإذا كان العبد يقضي في التعليم كمَّ كبير من ساعات عمره، فالإعلام لا يقلُّ عن ذلك، بل ربما يزيد عليه، خاصة مع الإعلام الجديد، فعلى سبيل المثال: ذكَرت إحصائية نُشرت عام ٢٠١٠م أن الناس يقضون أكثر من ٥٠٠ مليار دقيقة في الشهر - تقريبًا ١٧ مليار دقيقة في اليوم - على الفيس بوك، كما وصَل عدد مُستخدميه عام ٢٠١٢م إلى مليار، هذا لموقع واحدٍ فقط، أما اليوتيوب ، فيَزوره شهريًّا أكثر من ٨٠٠ مليون زائر يشاهدون فيه أكثر من ٩٠ مليار مشاهدة، وكل دقيقة في يوتيوب يتمُّ تحميل ما يُقارب ٤٨ ساعة فيديو، أي: إن ما يُعادل ٨ سنوات من العرض المستمر يتمُّ تحميله يوميًّا وخطورة الإعلام في البناء الفكري تَكمُن فى عدة أمورٍ، منها أمرين مهمَّين جدًّا، هما:

أ- الرغبة والدافعية، فالمتلقي من الإعلام يكون مختارًا لا مُجبرًا، راغبًا لا رافضًا، مُحبًّا لا كارهًا.

ب- مخاطبة الإعلام لأكثر من حاسَّة للعبد؛ فهي تَجمع بين الصوت والصورة، والحركة والسكون، بطريقة جذَّابة وساحرة، تجعل العبد يتلقَّى المادة وتَدخل في فكره، ورُبَّما تَتغلغل حتى تصِل إلى عقله اللاواعي، فتُشكِّل فكره وَفْق أساليب لا تَخطر له على بالٍ تلك هي العوامل الخمسة الأساسية لتشكيل فِكر العب.

هل التفكير ثابت أم متغير؟:

سؤال قديم جداً، وجد منذ وجدت البحوث التربوية والنفسية التي ناقشت موضوع الذكاء وتأثره بالوراثة والبيئة، إلا أن الإجابة ظلت حائرة بين أصحاب النظرة البيئية، وأصحاب نظرة الوراثة لكن العلماء اليوم يفرعون الدماغ والتفكير إلى أجزاء كبيرة، معظم الأمور العلمية تعتمد على أجزاء وعمليات قابلة للتطور والنمو إذا ما أريد لها ذلك.

أنواع التفكير:

صنف بياجيه أنواع التفكير فى ضوء مراحل نموه الخاصة: حسي حركي، حدسي (ما قبل العمليات) العمليات الحسية - الملموسة ، العمليات الشكلية (التفكير الفرضي المجرد).

التفكير الحسي- الحركي وهو شكل التفكير السائد عند الأطفال فى السنوات الثلاث الأولى بعد الولادة حيث يلجأون إلى معالجة الأشياء والتعرف عليها من خلال حركات وأفعال يستخلصون منها معارفهم.

التفكير الحسي -الصوري وهو شكل التفكير الذى يظهر لدى الأطفال فى سن ما قبل المدرسة.

التفكير المجرد وهو شكل التفكير الذى يعتمد على المفاهيم والأحكام المجردة وهو لا ينقطع عن الاحساسات والإدراكات والتصورات.

وهناك تصنيف آخر:

١- التفكير المنطقي:هو دراسة مبادئ الاستدلال والتفكير، وهو يُعنَى في المقام الأول ببِنْية الجدل والعَلاقات بين الأفكار، ويتضمَّن التفكير استخدام وتطبيق قواعد المنطق الشكلي على مواقف حاضرة فعلاً، وهو يعني إذًا استخدام عمليات فكرية واضحة وسليمة ومعقولة فالتفكير المنطقي يؤدِّي إلى الأمن الفكري بدراسة جادة للعمليات الفكرية الواضحة المعالم.

٢- التفكير النقدي:

هو أن يسلك العقلُ في حركته المعرفية مسلكًا يجمعُ فيه بين المتقابلات من الآراء، ويقابل الاحتمالات المختلفة، يمحِّصها ويختبرُها على أساسِ ذلك التعامل، فإن هذه المقارنة والنقد عاملٌ في ترشيد الفكر للوصول إلى الحق؛ وبذلك يتضمَّن التفكيرُ الناقدُ السلوكَ الذي يجمع بين المتقابلات والاحتمالات بعد تمحيصها واختبارها للوصول إلى الحق؛ لذلك فإن التفكير يؤدِّي إلى عدم الانحراف، وتمييز الحق من الباطل، ومعرفة كل ما يحقِّق الخير.

وظائف التفكير:

يؤدي التفكير وظيفتين أساسيتين هما: إنشاء المعانى والاستدلال وإنشاء المعانى: يتم تكوين المعاني بالاعتماد على الإدراكات الحسية والخبرات المباشرة.

الاستدلال: وهو إصدار حكم أى إقامة علاقة بين حدثين أو ظاهرتين أو مفهومين أحدهما معروف والآخر مجهول، ويعتمد الاستدلال فى جوهره على الطبيعة المجردة للعمليات العقلية

ثانيا: تفكير المنظومة: النظام عبارة عن مجموعة من العناصر أو المكونات، توجد بينها علاقة، وحدود واضحة تفصل النظام عن المحيط، وعلاقات تبادلية معينة مع بيئة النظام.

- تفكير البراهين الهندسية (المنظومة) :يعنى أننا صانعوا نماذج للعالم المحيط بنا، وإننا لا نلاحظ الحقيقة الموضوعية فكل نظام نلاحظه هو في حقيقة الأمر نموذج للحقيقة، تم صناعته من الأفراد وليست الحقيقة نفسها وتلعب النماذج دورا رئيسيا في ملاحظتها لتطور النظام بأكمله، يبين الكثير من العلاقات السببية الموجودة بين عناصر النظام.

- ونجد في الأنظمة الكثير من علاقات السبب والنتيجة متصلة بطريق تجعلنا عندما نلاحظ النمو الديناميكي للنظام تظهر عناصر النظام الفردية على أنها السبب وفي نفس الوقت النتيجة.

- في مجال التربية والاجتماع لا توجد العلاقات السببية التبادلية البسيطة الخاصة بالعمليات والظواهر فعلى سبيل المثال لا يمكن إرجاع سبب إعاقة عقلية لطفل ما إلى خلل في النمو الطبيعي للخلايا العصبية فقط، بل تعود إلى العلاقات التبادلية للعمليات المرتبطة بالنظام ككل.

(لاإكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)[1] فجعل القضية قضية العقل وحده وأمن العقل على حريته وهو واثق بعد ذلك أن العقل إذا دار فى حريته الإنسانية فهو حتماً واصل إلى إقرار ما دعا إليه .

لذلك يقول فى هذه الآية (قد تبين الرشد من الغى) وهذا معناه ليست هناك حجب إطلاقاً تحجب العاقل عن رؤية الحق والهدى طالما نحى الإلف والعادة وارتفع الانسان بتفكيره فوق الشهوات جمعاً .

وهنا ليس بصحيح ما يقال إن الاسلام دعا إلى القتال ليكره الناس على الدخول فيه فما دعوة الاسلام للقتال إلا دفعاً للتربص به من عدو مبين أو لاعتداء معتد بدأ بالعدوان واتخذ طريقاً لحمل المسلمين على التنازل عما استهدفوه فى حياتهم وحملوه رسالة آمنوا بها واتبعوها وهى رسالة الإنسان الحر الكريم الذى يريد أن يعيش حراً كريماً لا يقبل الضيم لنفسه ولا للآخرين معه .

ولو أن الاسلام لم يأمر بدفع تربص المتربصين لم يكن فطرة الله التى فطر الناس عليها ولم يكن منطقه فى الحياة مسايراً لطبيعة الانسان فى إقامة المجتمعات وحمل الرسالات والمحافظة عليها ويوضح تمام التوضيح موقف الاسلام فى هذه الآية الكريمة التى تقول : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى

أيدك بنصره وبالمؤمنين)[١] ففى الوقت الذى طلبت فيه هذه الآية أن يعد المؤمين أنفسهم للقاء العدو إن اعتدى أو لدفع تربصه فى مؤامراته إن وقفوا على ذلك طلب منهم قبول السلام إن عرض عدوهم أن يعيش معهم فى أمن وسلام وهكذا نرى أن الاسلام يطلب الحرية الفكريه للانسان [٢].

الباب الثانى
الفكر والعقل والوعى

الفرق بين معنى العقل والفكر:

العقل: صفةٌ نفسية تُسمَّى به النفس حينما تحوز حقيقة ما، وتتمثَّلها وتتشرَّبها فتكون لباساً لها تتَّصف بها فتكون عقلاً لها فالمدركات النفسية هي ما عقلته هذه النفس وتخلّلت واتَّصفت به، فالنفس كالمرآة حينما تتَّجه لأمر ينطبع فيها، فهي فى الأصل صفحةٌ بيضاء نقية فحينما ينطبع فيها أمر ويستحوذ عليها يسمَّى عقلاً، فالعقل نفسي، والفكر دماغي والروح حركي، والجسد مطية ومركب لهم جميعاً، فكل أمر تهتم به النفس وتصدق فى طلبه فتحوّل إشعاعها إلى الفكر فيعمل ويُطبع فيها، فهذا الطبع في النفس يسمّى عقلاً.

(قَالَ فَمَن رَبُّكُمَا يَامُوسَى ، قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) وقال تعالى:(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) ونذكر على سبيل المثال الطفل الرضيع: من الذي يهديه إلى ثدي أمه من أول لحظة يأتي بها إلى الحياة والنحلة بمجرد خروجها من الخلية تجدها تسرع إلى الأزهار فتمتص ما فيها من الرحيق، ونجد البط يسبح في الماء من أول لحظة يخرج فيها من البيضة، فمن الذي علّم وهدى الطفل إلى الرضاعة؟ أم من هدى النحلة لامتصاص الرحيق من الأزهار؟ إنه العقل الملهم أي ما طُبع في نفس كل مخلوق منذ الأزل للقيام بوظيفته، والحيوان يأتي ويسير في هذه الحياة على حسب ما طُبِع فيه، ولا يمكن أن يغيّر وظيفته، لكن الإنسان هو المخلوق الوحيد من بين سائر المخلوقات الذي لديه المقدرة على التغيير والتبديل وطبع وعقل أشياء جديدة في هذه الحياة بواسطة الفكر،لكن العقل بالنسبة للإنسان يتم فى حالتين:

١ـ عقل لصور الأشياء، يحصل به العلم المادي.

٢ـ عقل لحقيقة الأمور ويحصل به علم اليقين وإدراك الحق والحقيقة التي لا ريب فيها وعقل صور الأشياء يتم كما ذكرنا سابقاً بصدق النفس وتوجُّهها للأمر الذي تبغيه . مثال: سائق السيارة في البداية يواجه صعوبات في قيادة السيارة ويستعمل كل حواسه وملكاته، أما فى النهاية بعد أن يعقل القيادة يصبح الأمر بالنسبة له بسيطاً جداً فتراه أثناء انطلاقه بسيارته يشعل لفافة التبغ ويتحدث لكنه ودون شعور ولا تركيز يقف أمام أضواء المرور الحمراء، ويتجاوز الخضراء ويتفادى الاصطدام بسيارات الغير وهب أن شخصاً ما يُتقن السباحة وبينما كان نائماً على ضفة بحيرة سقط أثناء تقلُّبه في النوم فى الماء فإنه قبل أن يعي أين هو وماذا حدث وما الخبر ترى حركات يديه ورجليه البارعتين بالسباحة تنقلانه على سطح الماء دون علم أو إدراك أو وعي لهما فلا يغرق يحدث ذلك حتى قبل دوران دواليب فكره أو إرادته، وذلك هو العقل لقد كانت نفسه قد عقلت السباحة فطبَّقتها بلاشعور منه أما بالنسبة لعقل حقيقة الأمور اليقينية فهذا الأمر يحتاج لنور أقوى من الأنوار المادية التي نراها مثل ضوء الشمس والقمر والكهرباء وغيرها، إنه يحتاج لنور الإله العظيم جلّ جلاله، لكن هذا متوقف على سير الإنسان فى طريق الحق وصدقه مع ربه وسماعه وتطبيقه لأوامره تعالى التي يسمعها على لسان رسله الكرام، لذلك نشاهد كثيراً من الآيات الكريمة يخاطب الله تعالى بها رسله الكرام بأن يبلِّغوا عباده }لِقومٍ يَعْقِلُونَ{فالعقل إذاً : هو ما تعيه النفس وتحتويه وحتى تعيه لا بدَّ للإنسان من أن يتوجَّه إلى ذلك الشيء الذي ستعبُّهُ نفسه وعلى قدر اهتمامه وتوجُّهه الكلِّي يكون عقله وعلى سبيل المثال في المدرسة نجد أن الطالب الذي توجَّه كلّه إلى معلِّمه وكان مهتمَّاً نراه يعقل ما تعلَّم عكس من شرد ولم يعبأ بشروح وتفصيلات المعلم فالعقل: إذاً لا يتم إلاّ بعد التفكير المتأمُّل العميق وهذا ما نلاحظه في آيات كثيرة من القرآن الكريم، حيث ترد كلمة (يتفكرون) وتليها مباشرة (لقومٍ يعقلون)

قال تعالى}:وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ{ نستنتج مما سبق أن العقل لا يكون إلاَّ بعد التفكير العميق في الشيء ولا يذكر تعالى كلمة (الفكر والعقل) عبثاً فهناك فرق بينهما وهذا ما بيَّناه

عناصر الوعي الإنسانيّ:

نُحاول أن نُتابع الإمام على بن أبى طالب في نصوص نهج البلاغة حول ما أودعه من إرشاداتٍ فكريَّةٍ للعناوين التي أراد للإنسان أن يُفكِّر فيها، من خلال الطَّاقة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان من بين النُّصوص، يقول في خلق الإنسان: ثُمَّ نفخ فيها من روحه، يعني هذه الكتلة الطّينيّة، فمثلت إنساناً ذا أذهانٍ يجيلها، بمعنى يُحرّكها في ما يجول من القضايا الّتي لا بُدَّ للإنسان أن يتعقّلها كالمعقولات، وفكرٍ يتصرَّف بها، وجوارح يستخدمها في ما يُريد، وأدواتٍ يقلبها، وهي الأعضاء، ومعرفة تُنتج من هذا الفكر ومن هذا الذِّهن، يفرق بها بين الحقّ والباطل، فيُميّز الحقَّ من الباطل، والأذواق في الحسّ الذَّوقي، والمشام في حاسّة الشَّم، معجوناً بطينة الألوان المختلفة والأشباه المؤتلفة والأضداد المتعادية، في ما يُحيط بالإنسان من هذه العناصر، الّتي قد تكون عناصر الأضداد، التي يُنافي بعضها الآخر، أو الألوان الّتي تختلف، أو الأشياء الّتي تأتلف،والأخلاط المتباينة من الحرّ والبرد، والبلّة والجمود ونُلاحظ أنَّ في هذا النَّص وصفاً للإنسان بكلِّ العناصر التي تُمثِّل منطقة الوعي الدَّاخليّ، أو تلك الّتي تُمثِّل الحواسّ الخمس، كما أنَّها تُمثِّل ما يُحيط بالإنسان من الأمور التي تتنوَّع في مبايناتها أو في ائتلافها أو ما إلى ذلك

لكنَّنا نُلاحظ أنَّه ركَّز في البداية على الذِّهن الذي يتجوّل من أجل أن يستكشف القضايا في العالَم، والفكر الّذي يتصرَّف بهذه الأشياء، والّتي يقتبسها أو يكتشفها الذّهن فدور الذّهن والحسّ هو أن يكتشف ويجمّع، ودور الفكر هو أن يتأمَّل هذه الأشياء المكتشفة، فكأنَّ الحواسّ أو الأذهان تُحاول أن تجمع للفكر المفردات الّتي هي بمثابة الموادّ الخام، ثُمَّ يتصرَّف الفكر فيها، فيقرب بعضها لبعض ويصنع منها المبادئ، ويقنّن لها القوانين، ويركِّز فيها الأوضاع، تماماً كالمصنع الَّذي يصنِّع الموادّ الخام ويحوِّلها إلى مادّة منتجة، وهذا هو الفكر فكلمة: ويتصرَّف فيها، تعني أنَّ دور الفكر هو أن يتصرَّف في ما يجمعه الذِّهن وتُنتجه الحواسّ وهي المسألة التي ركَّز عليها الإسلام، فيما يُحاوله الإنسان من تعقّل الأمور الّتي تجمعها كلّ حواسّه الدَّاخليّة والخارجيّة، فيُحاول أن يتصرَّف بها من أجل صنع القضايا الفكريّة، والمبادئ والأوضاع التي يتحرَّك بها النَّاس لذلك، على الإنسان أن لا يعطِّل فكره، وأن يحرِّض الحواسّ على خدمة الفكر، بأن يُدقِّق في ما ينطبع في هذه الحواس من صور ويُنظِّمها، ثُمَّ يحمل هذه الصُّور إلى عقله، ليتصرَّف الفكر فيها، فيخلق إنتاجاً جديداً يُسمَّى الأفكار والعلوم وغيرها وبذلك يُمكنه التَّفريق بين الحقِّ والباطل.

كيف يمكن رفع وعي الإنسان في الوقت الحاضر ؟

الحقائق المعلنة يجب ان يمارسها جميع الناس بغض النظر عن الطائفة والمجتمع ممارسة السلوك الجيد واجب الإنسان الطبيعي فيجب عليك ان تدرك ان سعادة الأفراد تعتمد على ازدهار المجتمع ككل وتحول الأفراد شرط لتحول العالم مع المتغيرات السياسية ، الاجتماعية والاقتصادية ، نحن بحاجة الى التحول في المجالات العقلية والروحية عندئذ فقط يستطيع الإنسان ان يرتفع بوعيه.

أما كيف يمكننا أن ننجح في تعزيز السمات الجيدة فينا ؟ فمهما تكن صفات المرء ، لن يتمكن من استعمالها بشكل جيد إلا اذا كان له علاقة بأناس تتوافر فيهم السمات الجيدة سيتمكن المرء من تنمية الصفات الجيدة ، الأفكار الجيدة المشاعر الجيدة والقيام بالأعمال الجيدة ، هذا هو واجب كل شخص : تطوير الصفات الجيدة، والتخلص من السمات السيئة فعالم الفكر ليس عالماً راكداً وإن بدا كذلك إزاء ما نشهد من صخب عالم الحركة ففيه يوجد كثير من الزبد، وأقل من ذلك مما ينفع الناس بمعنى آخر، قليل من الحركات الصاخبة يكون وراءها فكر نير، وحيث الحركات لا تنبثق من فكر نير، ولا تندفع بهديه، تكون أدعى إلى الإخفاق، وأقرب إلى الضرر من الافادة من هنا نرى أن كل وضع تقليدي راكد متمترس يخشى أثر الفكر النير الذي يتحداه أكثر مما يخشى صخب الحركة التي تنازعه ذلك أنه إذ يستطيع مواجهة أي حركةٍ بحركة أقوى، وأن يقابل أيَ عنفٍ بعنف أشد، فإنه لا يستطيع مواجهة فكر إلا بفكر أرقى، وهو ما هو إليه فقير.

أدوات صناعة العقل فى ضوء الكتاب والسنة:

عندما نتحدث عن العقل في الإنسان فلابد أن نفرق بين العقل الذي يُضَادُّ الجنون، والعقل الذي يضاد السَّفَه قال الإمام ابن القيم: والعقل عقلان: عقل غريزة، وهو أبو العلم، ومربّيه، ومثمِّره، وعقل مكتسب مستفاد، وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته، فإذا اجتمعا في العبد فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واستقام له أمره واقبلت عليه السّعادة من كل جانب، وإذا فقد أحدهما فالحيوان البهيم أحسن حالًا منه، واذا انفرد انتقص الرجل بنقصان أحدهما فهذا النوع الثاني من العقل هو مادة الحديث عن صناعة العقل، إذ هو الذي يقبل تلك الصناعة، وتؤثر فيه أدواتها، بخلاف الأول ولا زال الناس يثنون على العقل، ويتفقون على منزلته، ورفعة شأن العقلاء، فكفى بالعقل فخرًا ورفعةً أن ينتسب إليه ويدَّعيه من لا يملكه ولا يتمتع به

وكفى بالسَّفَه عيبًا ودنوًّا أن يتبرأ منه وينفيه من هو ساقطٌ فيه تمام السقوط، فعن همام بن يحيى قال: قلنا لقتادة أي الناس أغبط؟ قال: أعقلهم. قلنا: أعلمهم؟ قال: أعقلهم، ولازال أهل الفضل يرفعون ذى العقل بعقله وإن كان فقيرًا معدمًا، ويقدمونه على من كان سفيهًا ولو كان غنيًّا ومما يدعو إلى الحديث عن العقل وصناعته هو ما نراه من الأثر السيء لضعف العقول، وسفاهتها، فمن ذلك:

أولًا: أثره على الأفراد في اختيار ما يقيم حياتهم، ويصلح أمر آخرتهم، فترى كثيرًا من الناس مصرًّا على تقديم ما فيه شهوة عاجلة، رغم ما فيه من عاقبة فاسدة في الدنيا، وعقوبة عظيمة في الآخرة، وما ذاك باختيار عاقلٍ حصيفٍ بل قد أوتي مِن سَفَهِ عقلِه ومن ناحية اختياراتهم في أعمالهم، فتجد أحدهم يعمل ما لا يستطيعه، ولا يجيده، ولا يملك أدواته، فما هو إلا أن يفشل فيه، فيظن نفسه فاشلاً وتخور قواه لذلك، وما الأمر إلا سوء تقديرٍ للإمكانات، وسوء توظيفٍ للقدرات.

ثانيًا: أثره على الأسرة، فكم من بيوتٍ أقيمت وأديرت على غير أساسٍ صحيح، فكانت العاقبة بتهاوي هذه البيوت، فيترتب على ذلك من العواقب الوخيمة ما الله به عليم، من تشريد أبناءٍ، وفساد نساءٍ، وسقوط مجتمعات ، وما ذاك إلا من ضعف العقل، وضعف اختياراته.

ثالثًا: أثره على المجتمعات، وهو مبني بدرجة كبيرة على ما سبق، فالأسرة لبنة المجتمع، والفرد لبنة الأسرة، ففسادهما فسادٌ للمجتمع بالطبع، سيما إذا أضيف إليهما تواطؤ المجتمعات على إقرار فساد الحياة والسقوط الديني في أركان المجتمع الذي يحوط الجميع، وما ذاك إلا من سوء الاختيار والتوجه، الناتجين عن ضعف آلات العقل وتمييزه.

رابعًا: أثره على الأمم والدول عامة، وهو مبنيٌ على ما سبق بدرجة كبيرة، مضافًاً إلى ذلك ما يكون من سياسات الدول تجاه بعضها البعض، مما يترتب عليه فساد أكبر يعم الأرض بأسرها.

فمن ذلك ما نراه من أممٍ قد اهتمت بتنمية عقول أبنائها، واكتشاف أصحاب المواهب منهم فكان في ذلك خيرٌ كبيرٌ لهذه الأمم، وللبشرية بأسرها، إذ ظهر ذلك في صورة اختراعاتٍ، وابتكاراتٍ تفيد الناس في جنبات الأرض وعلى الجانب الآخر نرى أمماً استخدمت ذلك في صناعات وحياكة مؤامرات أدت إلى دمارٍ كبيرٍ في جنبات الأرض، ولا أدل على ذلك من أن نعرف أن عدد من قتلوا في الحرب العالمية الثانية وحدها حوالي خمسون مليوناً من البشر، وما ذلك إلا بسبب البُعد عن شرع الله وعدم الاهتداء بالوحي الإلهي الذي يوجه هذه الطاقات وجهتها الصحيحة لخدمة البشرية وهذا الاهتمام من قِبَل الأمم بعقول أبنائها، واستغلال ذلك نراه في سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، رغم تأخر الخلف عن ذلك بدرجة كبيرة، فقد كان سلف الأمة يهتمون ويستشيرون أصحاب المواهب والعقول ، فهذا الخليفة عمر بن عبد العزيز يقول: لئن يكون لي مجلس من عبيد الله أي: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة أحب إلي من الدنيا؛ وقال: والله إني لأشتري ليلة من ليالي عبيد الله بألف دينار من بيت المال، فقالوا: يا أمير المؤمنين، تقول هذا مع تحريك وشدة تحفظك؟! فقال: أين يذهب بكم؟ والله إني لأعود برأيه وبنصيحته وبهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف، إن في المحادثة تلقيحاً للعقل، وترويحاً للقلب، وتسريحاً للهمّ، وتنقيحاً للأدب.

ويقول الإمام ابن القيم: مدح الله سبحانه الْعقل وأهله في كتابه في مواضع كثيرة منه وذم من لَا عقل له وأخبر أنهم أهل النّار الّذين لا سمع لهم ولا عقل، فهو آلة كل علم وميزانه الّذي به يعرف صحيحه من سقيمه وراجحه من مرجوحه والمرآة الّتي يعرف بها الحسن من القبيح.

وإذا كان أمر العقل بهذه الخطورة، والأثر العظيم في حياة الفرد والأسرة والمجتمع، والعالم بأسره، كان لابد على المسلمين - لاسيما من تصدوا لقيادة الأمة وتربيتها، من الولاة والعلماء وأهل الرأي ونحوهم من النظر فيما ينهض بالعقل والناظر في كتاب الله عز وجل، وفي سنة نبيه ﷺ وما ورد في التاريخ الإسلامي، والحضارة الإسلامية يجد عجباً في مجال النهوض بالعقل وتنميته، ولنذكر بعض الأدوات التي تظهر جليةً لكل متطلع.

أولًا: البيئة:فهي أول أدوات التأثير في عقل الإنسان، لأنها مهد الإنسان ونشأته، ولذلك يتفق العقلاء على أن: الإنسان ابن بيئته يعنون أنه يتأثر بها، وبسلوكيات أهلها، فلذلك تجد تفاوتًا كبيرًا بين أبناء البيئات المختلفة، وما ذاك إلا لاختلاف المخزون الذي امتلأت به عقول بني هذه البيئات من جراء تأثير بيئاتهم المختلفة في عقولهم، مما يؤثر في سلوكياتهم.

ثانيًا: التعليم والثقافة: اللذان يرتقيان بمستوى عقل الإنسان، فيخرجانه عن بعض مساوئ بيئته وما نشأ عليه، ومما يبين أهمية ذلك ما نراه في كتاب الله عز وجل وهو رأس مصادر الثقافة من اهتمام بعقول المسلمين، والرقي بها، فلا تخطئ ذلك أبدًا في كتاب الله عز وجل عن طريق بيان أوجه ضلال الكافرين العابدين الأوثان وتركيزه على أنه لم يدفعهم لذلك إلا سفه عقولهم، فيقول سبحانه وتعالى : { أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } وهذه اليابان بعدما أُلْقِيت عليها القنبلة الذرية، ودمرت دمارًا عظيما، إذا بها أول ما تهتم به هو التعليم، فكان المعلم يقف ليعلم التلاميذ فوق أنقاض المدارس، وما ذاك إلا لعلمهم بأهمية التعليم في صناعة عقول الأجيال.

ثالثًا: التربية:وهي من أوائل ما يؤثر في الإنسان إذ يتلقاها الإنسان في مهده، وانظر إلى قول الله عز وجل: { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } فانظر إلى اهتمام الأنبياء بصناعة الأمم والنهوض بعقول أبنائها، لإدراكهم أهميتها وتأثيرها.

رابعًا: القدوة: فلها وقع عظيم في قلوب الناس، فالفعل أقوى من القول، والنفوس إلى الاقتداء بالفعال أسرع منها إلى الاقتداء بالأقوال وقد بين الله عز وجل ذلك في مواضع عديدةٍ .

الفكر العقائدي:

الحديث عن الفكر العقائدي في التطبيق يعني الحديث عن أيديولوجية المدرسة العقائدية وهو حديث يمتاز بالحساسية الكبيرة لقدسيتها ومنهجها المتصف بالاستقرار في وجدان المسلمين مما يجعل الباحث في علوم القرءان في موقف حرج وعلى درجة كبيرة من الحرج لأن الخروج على النظم العقائدية قد يفهم على أنه تحطيم للنهج المستقر منذ أكثر من أربعة عشر قرناً عندما تختلف الغاية بين الفقيه والعالم بعلوم القرءان تختلف أيديولوجية النظم الحاكمة في مدرسة الفقيه مع النظم الحاكمة في مدرسة علوم القرءان واختلاف الغاية يؤدي إلى اختلاف النظم عندما يمارس صانع القماش صناعته فان فنون صناعة القماش تتطلب نظم محددة في سمك الخيط ونوعية الألياف المستخدمة كذلك عدد الفتلات الذي يلتف فيها الخيط حول نفسه تفاصيل كثيرة وكثيرة تخص صانعي القماش فصناعة القماش تغطي حاجة انسانية هي الألبسة وتوفيرها والخياط يقطع القماش اختلاف معاكس تماما بين منظومتين تعمل لحاجة واحدة هي حاجة الانسان للملبس إلا أن الغاية بين صانع القماش والخياط مختلفة رغم أنهما يعملان لحاجة واحدة الاثارة الفكرية المطروحة على شكل له مدلول واضح في رصد الحاجة المشتركة بين الفقيه والمتفكر بعلوم القرءان تلك الحاجة هي تطبيق القرءان عندما يطبقه الفقيه فهو في الاحكام وعندما يطبقه الباحث في علوم القرءان انما يسعى للتطبيق العلمي ولا شأن له بالاحكام الا من خلال الفقيه مثل(وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ)

اختلفت المدرسة العقائدية في فهم لفظ قرء والاختلاف نشأ منذ العهد الراشد فمنهم من اعتبر القرء هو الطهر ومنهم من اعتبره حيض ومنهج البحث في علوم القرءان أوضح أن القرء هو البيان وبما ان موضوع البيان هو ما خلق الله في ارحامهن فان النص الشريف اوفى بمقاصده في أن المطلقة عليها ان تتربص من زيجة اخرى حتى تستقرء ثلاث بيانات في خلو رحمها من خلق الله من طليقها اليوم وفي عصرنا فان استقراء البيان العلمي له مدلول قاطع فبيان تحليل الدم مختبرياً وبيان تحليل الادرار مختبرياً يمكن أن يشكلا قرئين وحيضة أخرى تفي بالغرض ليجتمع للمطلقة ثلاث بيانات في خلو رحمها من جنين محتمل والباحث في علوم القرءان عندما يطرح نتاجه العلمي فهو لا يمتلك حق الافتاء بل يترك حق الافتاء وشروطه إلى المدرسة العقائدية لا لأن العالم بعلوم القرءان غير واثق من النتاج العلمي بل لأن الايديولوجية في العقيدة تلعب دوراً فاعلاً في ارتباط جمهور المسلمين برجال الدين ونتاج العالم بعلوم القرءان غير ملزم لعموم المكلفين الا اذا تم ترشيحه من خلال الدائرة القدسية لرجل الدين الذي قد يرى ان المطلقة عليها ان تصبر ثلاثة اشهر عسى ان يراجعها زوجها الاول خير لها من ان تتعجل في زيجة جديدة وعلى عجل خوفاً من ان تستخدم المرأة ذلك النتاج العلمي ذريعة للافلات من عقد الزوجية للارتماء في زواج ثاني مما يعرض المجتمع الاسلامي لمشاكل أساسها وجوهرها اختلال في استقرار عقود الزواج نتيجة التطور الكبير في الحضارة الذي صاحبه تفسخ خلقي في المجتمعات التي ابتعدت عن التعاليم السماوية مثل تلك المعالجات لا يمكن للعالم بعلوم القرآن ان يقرها او يرفضها لانها خارج دائرة غاياته لان غايته هي الامساك بالمادة العلمية اما استخدامها فمتروك للجهة التي تصب المادة العلمية في دائرتها لو ان الباحث بعلوم القرءان اثبت من خلال نتاجه العلمي ان الفايروس هو نتاج لاختلال في التوليفة بين الحقول المغناطيسية وعقل الخلية وان نسخة الفايروس الاولى ستكون وليدة ذلك الاختلال

وان طرق الوقاية منها هو انضباط منسك الوضوء فان الباحث في علوم القرءان سوف لن يحلل او يحرم انما سيقوم باعلان نتاجه ونتيجة لذلك فان رجال الدين سيطلبون من المكلفين الاهتمام بالمنسك الصحيح للوضوء للوقاية من الفايروس ومنهج المدرسة العقائدية يفيد أن العلم يتحقق بالخبر الصادق معايير الخبر الصادق في المدرسة العقائدية هي الاخبار الوارد من شاهدين من الرجال او شاهد واحد وامرأتان اعتمدت صحاح الحديث من الاخبار الصادقة اعتمدت بعض الشخصيات الاسلامية صادقة في اخبارها لو أن شخصاً عرض بيده ذبيحة واراد ان يعرف مدى صلاحيتها فان المدرسة المعاصرة تضع معايير الصلاح بموجب التلوث البكتيري اما في الاحكام الشرعية فان معايير الصلاح تقع في دائرة الحلال والحرام وهي في منسك الذبح أو النجاسات أو ملكية الذبيحة شرعاً لو عرضت الذبيحة على مختبرات الأرض كلها فان تلك المختبرات تستطيع أن تحدد صلاحية الذبيحة للاستهلاك وبموجب قائمة تفصيلية من البيانات مع مسببات الاستخدام او منع الاستخدام اما حيازة الذبيحة فلا شأن للمختبر بها وهل هي مسروقة أو لمالكها .

التفكير الاستراتيجي:

يعتبر التفكير الاستراتيجي محل اهتمام علماء وباحثي علم الإدارة الاستراتيجية ، لما يمر به من حداثة نسبية في دراسة أابعاده ، وقد نبع الاهتمام به حيث يمثل التفكير الاستراتيجي أساس صياغة الاستراتيجية والتخطيط الاستراتيجي انطلقا من أانهما يصبان في برامج عمل رئيسة تستخدمها المنظمة لبلوغ رسالتها وغاياتها وحدد التفكير الاستراتيجي اطار شامل لمنهج الإدارة الاستراتيجية والاحاطة بنطاقه والتطورات التي جعلت منه ميدانا هاما ، فهو يهيء الفهم والوعي بالادارة الاستراتيجية والاعتراف بأهميتها في التحرك لنجاح المنظمة

وللتدليل على مفهوم التفكير الاستراتيجي تبرز مجموعة من التساؤلات ، مثل ما هي المنافسة في السوق وما مدى شدة جميع قوى المنافسة ؟ أي المنظمات تتمتع بمراكز تنافسية اقوى او اضعف ؟ • ما هي التحركات الاستراتيجية المفضل اتخاذها لاحقا ؟ ما هي العوامل الرئيسة المحددة لنجاح المنافسة في بيئة الصناعة ؟

في ضوء هذه التساؤلات يتبين أن التفكير الاستراتيجي يمثل اسلوبا لتحليل مواقف تواجه المنظمة تتميز بالتحدي والتغير يتم التعامل معها لضمان بقاء المنظمة و قيامها بمسؤولياتها حاضراً ومستقبلاً والتفكير الاستراتيجي يعتمد على الابتكار وتقديم أفكار جديدة يصعب على المنافس تقليدها إلا بتكلفة عالية أو بعد وقت كبير، ومعظم الافكار الجديدة في مجال الادارة ظهرت في مناخ ديمقراطي يسمح باشتراك أكبر عدد من الافراد مع إعطائهم أكبر قدر من الحرية للتعبير عن آرائهم وعدم فرض قيود على الاقتراحات والافكار المقدمة منهم، بل يتم تقييمها لضمان وجود أكبر قدر ممكن من الافكار والمقترحات البناءة ويعد التطور الحديث الذي شهدته تكنولوجيا المعلومات عامل مساعد ومدعم للتفكير الاستراتيجي للمنظمة وقدرتها على التكيف والمناورة والتحديث بسرعة ودقة وكذلك التركيز على الوجهه الابداعية فيها ، ويمكن القول ان تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بانواعها المختلفة تشكل عامل داعم للتفكير الاستراتيجي في المنظمات بما يخدم التوجهات الاستراتيجية فيها ولا بد من إدراك الفارق الكبير بين التفكير الاستراتيجي كمنهج وفلسفة ينتج عنها حس وإدراك إستراتيجي يتم التفكير دائماً في إطاره، وبين الخطط الاستراتيجية كمسار وخطوات ومراحل يتم التحرك بناء عليها ومن خلالها فبناء وتنمية منهج التفكير الاستراتيجي لدى أعضاء المنظمة، وممارسته، يترتب عليه حتما وضع إستراتيجيات وخطط وبرامج وسياسات وأنظمة تخدم رسالة المنظمة وتحقق أهدافها .

فاعلية التفكير الاستراتيجي :

لابد من توافر مجموعة من العوامل لدى المنظمة تزيد من فاعلية التفكير الاستراتيجى منها:

- وجود ادارة قادرة على المبادأة .
- اعتماد اساليب تخطيط للمدى البعيد .
- انتقاء نماذج التحليل الكمي والنوعي لبناء الاستراتيجية وبدائل الاستراتيجيات لبناء مركز تنافسي للمنظمة.
- تشجيع الاستفادة من التعلم المنظم والخبرة الاستراتيجية لادارة المنظمة

غياب العقل الإستراتيجي:

إن إلغاء التاريخ يجعل العقل العربي غير إستراتيجي فلا تخطيط بعيد المدى ولا استيعاب للواقع وكيف يكون هناك تخطيط إستراتيجي مع استفحال ذكاء تدبير الحال ومداراة الحاضر بالحاضر والتعامل مع التحديات والوقائع بردود الفعل ،يعتبر التفكير الإستراتيجي قمة الكفاءة الذهنية من حيث القدرة على التحليل والتوليف والرؤى بعيدة المدى وبناء تصورات عالية التعقيد للواقع بحيث تستوعب قواه الأساسية وديناميكيته المحركة وتتحكم فى تسييرها وتغييرها خدمة للمصالح بعيدة المدى إنه أي العقل العربي اللاإستراتيجي على النقيض من الفكر الإستراتيجي يظل أسيرًا لفكر تدبير الحال وهذا المصطلح على إيجازه يكتنز من الأضواء والظلال الكثير بما يرسم صورة محزنة لأمة تدبر حالها يوماً بيوم بينما هناك من يتربص بها بكل أدوات التربص ونواياه وأهدافه المتنوعة

ويخطط تربصه بأبعاد إستراتيجية تمتد لعقود وقرون وتجعل من يكتفون بفكر تدبير الحال في خطر عاجل وليس آجلاً فالانهيار الكامل يبدأ بضربات معاول قليلة قد لا تكون ظاهرة التأثير في بواكير عملها لكنها أكيدة الهدم إن استمرّت في ضرباتها ولكم نتلقى من الضربات التي توجهها لنا معاول وافدة من خارج حدودنا العربية وأخطر منها معاول هدرنا نحن لأنفسنا بأنفسنا خاصة معول هدر الفكر قصير النظر في التدمير بعيد المدى في التأثير وهو ما يقتضي منا نظرة مقارنة بؤرتها ما حدث في الغرب لا على سبيل النموذج والمثال بل لإثارة الحمية والفكر وإعمال النظر ألا يكفي النظر إلى داخلنا لنعمل الفكر فيه أليس حال فلسطين والعراق ولبنان والسودان على الأقل كافيًا لأن نستخدم العقل فيه قبل ردود الفعل والانفعال والصراخ ومزيد من هدر الإنسان واضطهاد العقل والفكر؟!.

لقد تلازمت ثورة العلوم الإنسانية مع ثورة فلسفة العلوم كي تجعل انطلاق المشروع الصناعي الكبير في الغرب ممكنًا وكي توفر له الأسس والمقومات والأدوات فكانت ثورة الأنوار التي تابعتها العلوم الإنسانية وأنجزت تحرير الإنسان الفرد من عصر الإقطاع والاستبداد السياسي وتحكم الاستبداد اللاهوتي لقد ردت له حريته وإرادته كمدخل أساسي لإطلاق طاقاته الحيوية الذاتية وتحمل مسئوليته في الإنتاج والإنجاز وإدارة الذات وحين يسترد حريته وإرادته ويتولى مسئولية ذاته يفسح السبيل أمام انطلاق طاقاته الحية. ولم يكن هذا الإفراط في إطلاق العنان للحرية الشخصية للفرد في الغرب وحمايتها عبثًا لمجرد إيصال الليبرالية إلى حدودها القصوى بل على العكس هناك جدول أعمال خفي وراء ذلك يتمثل في تحرير طاقات الجسد والعقل من أجل مزيد من العطاء والانطلاق فيه وتجاوز القيود والحدود كمدخل لتهيئة التربة الخصبة للإبداع من كل لون لاعتباره ضمان السبق في عالم احتدام التنافس على الجودة وخرق كل ما هو تقليدي في الإدارة والصناعة

كذلك لم تكن مسألة ترف معرفي تلك الجهود الهائلة لاكتشاف أسرار الوجود الإنساني فرديًا وجماعيًا مما قدمته مختلف نظريات الآداب والفنون والعلوم الإنسانية إنها إرادة المعرفة وسلطتها من أجل مزيد من السيطرة على الواقع وتسييره أما التمادي في إطلاق الحريات الذي يراه كثيرون مسئولاً عن توليد الانحرافات على اختلافها والتي أصبحت مثار شكوى حتى في بعض الغرب فهو أمر يمكن فهمه كآثار جانبية لفرط الحرية لكن هذه الآثار قابلة للاحتواء ثم إن الانحرافات المشار إليها ليست وقفًا على مجتمعات الإفراط في الحرية فهي ربما أكثر في مجتمعات ثلاثية الهدر لكنها ترتدي أقنعة النفاق تارة أمام التزمت وتجيد الاختفاء تارة أخرى وراء أسوار الاستبداد وتشكّل نوعًا من الادعاء الكاذب في ظل العصبيات العرقية والقبلية والاجتماعية.

هل للهدر فكر؟

يتضح مما سبق مدى خطورة وكارثة هدر الفكر تجريماً وتحريماً وحجرًا على العقول هدر الفكر هو هدر فعلي لفرص التنمية التقنية والإنسانية سواء بسواء وليس مجرد أمر يمكن التساهل في شأنه بمختلف المبررات كما هو حادث في بلاد هدر الإنسان وفكره إننا لسنا بصدد أولويات يمكن أن تقدم أو تؤخر بل بصدد قضية المصير ذاته وإعداد عدة المعرفة والفكر اللازم لاستيفاء شروطها ومقوماتها.

تلك مسألة أولى أما الثانية التي لا تقل أهمية عنها فهي إمعان النظر في الهوّة المتسارعة الاتساع بين واقع الفكر والمعرفة في أنظمة الهدر وواقعها في بلاد الريادة التقنية والإنتاجية أي بلاد التمكن والسيطرة فأين نحن من التحريم والتجريم والحجر.

إن الفكر كنتاج للتفكير يخدم غاية كبرى هي سيطرة العقل على العالم وظواهره بما هو لازم ومطلوب وصحي وبالتالي سيطرة الإنسان على ذاته وواقعه وصولاً إلى صناعة مصيره الاجتماعي وعليه يقود هدر الفكر إلى فقدان السيطرة وإفلات زمام تسيير الحاضر واستشراف المستقبل وصناعته وبالتالي هدر الكيان الإنساني ذاته من خلال رده إلى مستوى النشاط العصبي النباتي وإشباع حاجات البقاء البيولوجي فقط فالتحريم بما يشابه عقلية العصور الوسطى كالتجريم المخابراتي السياسي والحجر على العقول الذي تمارسه العصبيات تدفع كلها الإنسان إلى الإذعان وبالتالي تعطيل العقل وما ينتجه من فكر تحليلي نقدي وهكذا قد يدفع الهدر الناس إلى اقتصار نشاطهم الفكري على السعادة والرضا بتحقيق متطلباته الدنيا وهنا يعطل استغلال الدماغ ولا يبقى فاعلاً منه سوى أقل القليل فكيف ننهض ونصبح شيئاً بين الأمم المتنافسة في مضمار الاقتدار المعرفي وطفراته مادام يفرض على الإنسان العربي في الأغلب الأعم التفكير في نطاق تدبير الحال والتفكير فيما هو أضيق وأضيق أي التفكير فى تدبير حاجات الجسد لا غير وأحيانًا فى متطلبات النبات الذي لا نسمع له صوتًا ولا نلمح له انفعالاً! وهذا نمط من التفكير الأدنى الذي ينتجه الهدر ومادام الفكر نتاجًا للتفكير فيمكننا أن نطلق على هذا الحد الأدنى من التفكير فكرًا للهدر وهو تابع ذليل لهدر الفكر ينتج عنه ويدعم استمراره فيتعايشان في حلقة شريرة تداوم الدوران أحدهما يفرز الثاني وثانيهما يدعم الأول ومحصلة هذا الدوران هي سحق الحاضر وإلغاء المستقبل فهل نسعف الحاضر وننقذ المستقبل ونوقف هذا الدوران المدمر لعجلة هدر الفكر وما يتبعه من فكر الهدر؟ إنها ليست أمنية عربية حالمة بل هي ضرورة وجود واستمرار لحياتنا.

مهارات التفكير:

قال تعالى ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، هكذا يبين الله شيئاً من قدرته في النبات، فالماء واحد والناتج منه يختلف اختلافاً كبيراً،وهكذا الفكر، فالحياة واحدة والمواقف واحدة والمعلومات واحدة وغالباً متاحة للجميع، لكن الاختلاف بين البشر في معالجة هذه المعلومات والتعامل معها يختلف اختلافاً كلياً، حتى أنك قد لا تجد شخصين يتفقان في تفسير موقف واحد أو التعبير عن قضية واحدة وإن كانا عاشا في الظروف نفسها.

ان هذه القضية تقودنا إلى أمر مهم بل في غاية الأهمية، وهو المهارات التي يتعامل معها العقل البشري في معالجه المواقف وهل يمكن اكتساب تلك المهارات وتطويرها؟ هل بإمكاننا توجيه تلك المهارات للخروج بالنتائج المطلوبة؟

أي أننا نتحدث عن مهارات التفكير ذلك العلم القديم الجديد، فهو وإن انتشر حديثاً لكنه قديم قِدم البشرية، وإليه أشار القرآن الكريم ومارسه الرسول الكريم ص في حياته، ودرّب اصحابه عليه، ولما كانت مهارات التفكير كثيرة ومتنوعة، فقد صنف فيها الكثير من الغرب والشرق، ولكلٍ طريقته، وسنقتصر هنا على إلى نوعين.

مهارات التفكير الأساسية واستراتيجيات التفكير:

مهارات التفكير الأساسية: وهو مجموعة من المهارات التي تعتبر المنطلق والقاعدة لما بعدها، والتي يحتاجها كل الناس تقريباً، فالعاقل هو الذي يجتهد في تنميتها لديه وتوظيفها بما لديه، ومن أهم تلك المهارات:

مهارة الملاحظة:

يوريكا كلمة اطلقها ارشميدس قبل أكثر من ألفي عام وهي تعني وجدتها حين اكتشف قانون الطفو العام وحل مشكلة الملك في ذلك الوقت.

لقد كان حل المعضلة عن طريق الملاحظة، ومثله كثير في الاختراعات والنظريات والملاحظة هي أم المهارات ورافدها الأساس، وهي تعني استخدام حاسة أو اكثر من الحواس الخمس)النظر والسمع والشم واللمس والتذوق(في التعرف على خصائص الأشياء أو الحياة.

وثمار هذه المهارة أكثر من أن يحصر فمن ذلك:

• استجابة لدعوة القرآن: فكثيرا ما يدعو القرآن الكريم إلى النظر والتأمل، فمن ذلك ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾وقد جاءت الدعوة إلى النظر في أكثر من عشر مواضع، وقوله: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ وغيرها كثير.

• ملاحظة العبد نفسه، فقد كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى إذا أشكلت عليه مسألة قال لأصحابه: ما هذا إلا لذنبٍ أحدثته! وكان يستغفر، وربما قام وصلى، فتنكشف له المسألة، ويقول: رجوتُ أني تِيبَ عليّ. فبلغ ذلك الفضيل بن عياض، فبكى بكاء شديداً ثم قال: ذلك لقلة ذنبه، فأما غيره فلا ينتبه لهذا وقول الفضيل بن عياض: إني لأعصي الله فأجد ذلك في خلق دابتي وامرأتي وليس المقصود معرفة الذات في الخطأ فقط بل حتى في المواهب والهبات الربانية لك.

• تحسين العلاقات اقرأ معي هذا الحديث: عن عائشة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ص- قال لها: إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى، قلت: لا ورب إبراهيم قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك سبحان الله، كلمة واحدة لقد كانت ملاحظة النبي الكريم ص حتى في الكلمات، فمَن ينتبه لذلك؟.

مهارة الحفظ: وهي من المهارات المهمة والضرورية لكل إنسان، فمن اراد الرقي ومعالي الامور فعليه بالحفظ، فهي أول السلم وبها تُفتح المهارات، وللأسف فهناك من يُقلل من أهمية الحفظ وينظر غليه نظرة احتقار وانتقاص فيقال فلان ببغاء! وفلان مسجل وما علم هؤلاء أن منطلق العلوم من الحفظ فالعالم الحقيقي هو الذي يحفظ ويعرف كيف يثبت المعلومة ويتدرب على وسائل استدعاءها واسترجاعها عند الحاجة إليها. فلولا الله ثم الحفظ لما وصلنا العلم، لذا جاء ابو هريرة ـ رضي الله عنه ـ فقال: يا رسولَ اللهِ، إني أسمعُ منك حديث كثيرًا أنْساهُ؟ قال: أبسُطْ رِدَاءَكَ فبسطتهُ، قال: فغرفَ بيديهِ، ثم قال: ضُمَّهُ فَضَمَمْتُهُ، فما نسيتُ شيئًا بعدهُ،وهكذا كان أبا هريرة سيد الحفاظ فقد نقل إلينا الآلآف من الأحاديث مع أنه جلس مع النبي- ص- أربع سنين فقط، فمن نعم الله على العبد ان يرزقه حافظة قوية ثم يوفقه ليستثمرها في الخير، ومن الغبن أن لا يعرف العبد تلك النعمة، اقرأ هذه القصة: يقول محمد بن أبي حاتم: قلت لأبي عبد الله كيف كان بدء أمرك قال ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب فقلت كم كان سنك فقال عشر سنين أو أقل ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره فقال يوما فيما كان يقرأ للناس سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني فقلت له ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟

قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم فأخذ القلم مني وأحكم)أصلح(كتابه وقال: صدقت فقيل للبخاري ابن كم كنت حين رددت عليه قال ابن إحدى عشرة سنة.

مهارة الفهم:وهي المرحلة الأعلى في سلّم المهارات، وهي تعني إدراك ما وراء المعلومة أو الموقف والوصول إلى نتائج غير ظاهرة مباشرة اسمع: ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ وموجز القصة أنه تحاكم صاحب حرث، نفشت فيه غنم القوم الآخرين، أي: رعت ليلاً فأكلت ما في أشجاره، ورعت زرعه، فقضى فيه داود عليه السلام، بأن الغنم تكون لصاحب الحرث، نظرا إلى تفريط أصحابها، فعاقبهم بهذه العقوبة، وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب، بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بدرها وصوفها ويقومون على بستان صاحب الحرث، حتى يعود إلى حاله الأولى، فإذا عاد إلى حاله، ترادا ورجع كل منهما بما له، وكان هذا من كمال فهمه وفطنته عليه السلام وهكذا يذكر الله امتنانه على عبده سليمان بأنه أفهمه، فالفهم من المهارات الضرورية، وهي نعمة ربانية لذا جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما أنه قال: أن النبي - ص- دخل الخلاء، فوضعت له وضوءا، قال: من وضع هذا فأخبر، فقال: اللهم فقهه في الدين، ليس هذا فقط بل إن الرسول ص قال: مَن يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ، ألا فليبشر من رُزِق الفقه في الدين بأن الله أراد به خير فلنكن على يقين بأن تلك المهارات وغيرها مبثوثة في شرعنا وليست وليدة غرب ولا شرق، فعلينا البحث والغوص في كتاب ربنا وسنة نبينا فسنجد كم كبير ووفير عن تلك المهارات وغيرها.

٤-مهارة الربط: وتعني ربط معلومة بمعلومة أخرى لتوضيح المعنى وتزيل الإشكال أو من أجل استنتاج معلومة جديدة بطريقة علمية وعقلية وبدون تكلف
.

وثمار هذه المهارة كثيرة ومنها:

التفسير والايضاح: وتعني تفسير نص من نص آخر في مكان مختلف، وهي مهمة في تفسير النصوص وتوضيح المقصود، و قدوتنا في ذلك الحبيب ص اقرأ وتأمل هذا الحديث: لما نزلتْ هذه الآيةُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ شقَّ ذلك على أصحابِ رسولِ الله ص، وقالوا: أيُّنا لم يلبسْ إيمانَه بظلمٍ؟ فقال رسولُ اللهِ ص-: (إنهُ ليس بذلكَ، ألا تسمعون إلى قولِ لقمانَ: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ وعلى هذا سار سلفنا الصالح وأعملوا الفكر والنظر في القرآن الكريم، وإليك مثال: قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ، فما الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه؟ لقد بحث علماؤنا واتضح أن النص مذكور في القرآن الكريم في موضع آخر وهو قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ثم سار على ذلك الدرب الكثير من العلماء ومنهم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الذي يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن.

الاستنتاج: وتعني ربط معلومتين والحصول منهما على معلومة جديدة، وإليك هذه الحادثة: عن أبي الأسود: أنه رُفع إلى عمر - رضى الله عنهم - أن امرأة ولدت لستة أشهر، فهمَّ عمر - رضى الله عنهم - برجمها، فقال له علي - رضى الله عنهم -: ليس لك ذلك قال الله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾،وقال تعالى : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرً ﴾ فحولان وستة أشهر ثلاثون شهراً، لا رجم عليها، فخلى عمر - رضى الله عنهم - سبيلها، وولدت مرة أخرى لذلك الحد.

المقارنة: وهي النظر في أمرين وملاحظة ما بينهما من عناصر مشتركة وعناصر مختلفة ثم الحصول على معطيات جديدة، ومن الأمثلة على المقارنة القياس فهو النظر في نصين أصل وفرع(والبحث عن الصفة المشتركة أى العلة ثم الحصول على النتيجة وهي الحكم، وقد فعل ذلك حبيبنا ص، بل إنه القياس ساهم في حل مشكلة كبيرة يمكن ان تقع بين رجل وزوجته، فعن أبي هريرة - رضى الله عنهم :-أن رجلا أتى النبي ص فقال: يا رسول الله، ولد لي غلام أسود، فقال: هل لك من إبل قال: نعم، قال: ما ألوانها قال: حمر، قال: هل فيها من أورق قال: نعم، قال: فأنى ذلك قال: لعله نزعه عرق، قال: فلعل ابنك هذا نزعة .

٥-مهارة الاستنباط: وهي مهارة جميلة ومهمة وتعني الحصول على معلومة جديدة من معلومة موجودة بطرق خفية، لا يصلها كل أحد وهذه المهارة من الفوارق الرئيسة بين العلماء وقدرتهم في التعامل مع النصوص، وهي مجال خصب ورحب للوصول إلى بعض الحكم والأسرار الربانية في النصوص الشرعية وغيرها كما أنها تساهم في إبراز عظمة الخالق سبحانه من خلال آياته الشرعية والكونية، ولسلفنا الصالح نصيب الأسد من هذه المهارة واستنباطاتهم أكثر من أن تذكر الآن، ولنأخذ مثلاً واحداً: كان لهارون الرشيد علج طبيب له فطنة وأدب فود الرشيد أن لو أسلم فقال له يوماً: ما يمنعك عن الإسلام؟ فقال : آية في كتابكم حجة على ما أَنْتَحِلُه قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى عن عيسى: ﴿ وَرُوحٌ مِنْه﴾ وهو الذي نحن عليه فعظم ذلك على الرشيد وجمع له العلماء فلم يحضرهم جواب ذلك حتى ورد قوم من خراسان فيهم علي بن وافد من أهل علم القرآن فأخبره الرشيد بالمسألة فاستعجم عليه الجواب ثم خلا بنفسه وقال: ما أجد المطلوب إلا في كتاب الله فابتدأ القرآن من أوله وقرأ حتى بلغ سورة الجاثية إلى قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

فخرج إلى الرشيد وأحضر العلج فقرأها عليه وقال له: إن كان قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ يوجب أن يكون عيسى بعضاً منه تعالى وجب ذلك في السموات والأرض فانقطع النصراني ولم يجد جواباً؛ فأسلم وسُر الرشيد بذلك وأجزل صلة ابن وافد فلما رجع ابن وافد إلى بلده صنف كتاب النظائر في القرآن.

كيف يمكن اكتساب أو تنمية تلك المهارات؟ والإجابة على هذا السؤال تكمن في ثلاث خطوات:

-١ صناعة الإرادة: فالسؤال المهم لك: هل تريد أو لا تريد؟، فمن أراد فسيصل بإذن الله، والإرادة تعني الرغبة القوية في الاكتساب وتكوين الاستعداد النفسي لقبول التغيير،وأوضح ذلك حبيبنا ص بقوله: إنما العلمُ بالتَّعلُّمِ، و إنما الحِلمُ بالتَّحلُّمِ، و من يتحرَّ الخيرَ يُعطَهْ، ومن يتَّقِ الشرَّ يُوَقَّه، فمن يتحر يُعطى، ومن يتق يوقى، ومن لم يتحرى ولم يتوقى لأنها ربما كانت أماني فهي مجرد رغبات وأحلام لا تستند إلى دافعٍ قوي، لذا قال حبيبنا ص:- الكيسُ منْ دانَ نفسَهُ، وعملَ لمَا بعدَ الموتِ، والعاجزُ منْ أَتْبَعَ نفسَهُ هواهَا،و تمنَّى على اللهِ الأمانيَّ هل لاحظت الفرق بين الكيّس والعاجز،ومن وسائل صناعة الإرادة إدراك أهمية الموضوع وحيويته بالنسبة لك ولأهدافك، وفي المقابل التعرف على مضار إهمال الموضوع ونتائج ذلك على المستوى الفردي والجماعي.

٢- سلوك الطريق: ينبغي معرفة الطريق الموصل لاكتساب تلك المهارة، ثم السير على ذلك الطريق، ومن أهم طرق اكتساب المهارات الأساسية هو التدريب النظري والعملي وتكراره وتقييم الذات بعد كل فترة زمنية معينة، تأمل قول الحبيب ص:- عليكم بالصِّدقِ فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البرِّ وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة وما يزالُ الرَّجلُ يصدُقُ ويتحرَّى الصِّدقَ حتَّى يُكتبَ عند اللهِ صِدِّيقًا وإيَّاكم والكذِبَ فإنَّ الكذِبَ يهدي إلى الفجورِ وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّار وما يزالُ الرَّجلُ يكذِبُ ويتحرَّى الكذِبَ حتَّى يُكتبَ عند اللهِ كذَّابًا.

٣- الصبر: فالوصول قد يطول، والطريق قد يصعب، لكنه مفرح وفي كل الخطوات وقبلها وبعدها عليك بالإخلاص لله تعالى وتيقن من المعادلة الربانية وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.

ومن أهم الاستراتيجيات التي نحتاجها بالذات في حياتنا اليومية أربع هي:

-١ التخطيط: وهو رسم الطريق الوسائل الأكثر كفاءة لتحقيق الهدف المطلوب، فلا تخطيط بلا اهداف ولا تحقيق للأهداف دون طريق تسير عليه والمتأمل في حياة نبينا الكريم ص يلمس بوضح التخطيط الرباني في الدعوة من بداية البعثة حتى الوفاة، فكل خطوة لها وقتها ولها حيثياتها، ومن امثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾، فلا قتال قبل هذا الوقت مع أن الأذى الكبير للمسلمين كان في مكة المكرمة، ولعل من الحكم والله أعلم ما قاله ابن كثير في تفسيره: إنما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت الأليق به؛ لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً، فلو أمرَ المسلمين، وهم أقل من العشر، بقتال الباقين لشَقَّ عليهم.، بل وصل التخطيط حتى في اختيار الشخصية المرافقة لنبينا الحبيب ص في هجرته، فحين استأذنه ابو بكر الصديق - رضي الله عنها -في الهجرة قال: لاتعجلْ لعلَّ اللهَ أن يجعلَ لك صاحباً والتخطيط الناجح يحتاج إلى عنصرين أساسيين:

١- الهدف: ومن أهم معايير الهدف الجيد أنه طموح وواضح وقابل للقياس.

٢- الوسائل: الأكثر فاعلية والأعلى كفاءة.

وهذين العنصرين يحتاجان إلى ملاحظة واستنتاج، كما أن سلوك الطريق يحتاج إلى إرادة وصبر، وهذه كلها من المهارات الأساسية.

٢- حل المشكلات:طبيعة الحياة لا يمكن أن تخلوا من المشاكل، على المستوى الفردي والجماعي والأممي، فالعاقل هو الذي يدرك ذلك ويسعى للتدريب على مواجهة المشاكل وحسن توظيفها من أجل تحقيق أكثر المكاسب الدينية والدنيوية،وقد مارس رسولنا الكريم ص أسلوب حل المشكلات عملياً وطبقه في حياته الخاصة والعامة وحل المشكلات من أكثر القضايا التي تحدث عنها علماء الاجتماع والتربية، وقد وٌضِعت العديد من الاستراتيجيات والخطوات التطبيقية من أجل الوصول إلى أفضل الحلول.

الباب الثالث
عيوب الفكر

تعد معرفة ساحة عمل الفكر أولى جماليات هذا المنهج التي أضفاها على العقل، وقد لا نشعر بقيمة ذلك إلا عندما نتعرف على الضياع الذي عاش فيه الفكر الإنساني ويعيشه في كثير من بقاع الأرض إذ يخبط خبط عشواء غير متبين الطريق وغير عارف لحدود مهمته، وقد جرَّ ذلك الويلات العظام على بني الإنسان.

وللوصول بالعقل إلى جمالياته نطبق السمات العامة لجماليات المنهج:

(١) السلامة من العيوب: قبل البحث عن أي جمال، لا بد من التأكد من السلامة من العيوب، وقد بذل الإسلام جهده في تخليص الفكر من كل ما يعيبه، وحرره من كل ما يعيق حركته حتى وصل به إلى التحرر ، وهو فى حد ذاته سلامة من العيوبولكن بعض الشوائب قد تتسلل أحياناً و وحرصاً على النظافة الكاملة كما هو شأن الإسلام دائماً فقد عالج المنهج هذه الشوائب ونفاها نفياً تاماً.

والعيوب هنا، أو الشوائب، هي تلك الخرافات والأساطير والشعوذة والوهم التي تأخذ مساحة لا بأس بها من حياة الأمم والشعوب، حتى ذهب بعضهم إلى اعتبارها جزءاً مهماً من كل حضارة خاصة الحضارة الإغريقية.

وقد ظلت هذه الشوائب مهيمنة على التفكير وما زالت في كثير من الأمم والشعوب التي لم يحررها الإسلام، ذلك أنها مرتبطة بغريزة التدين، لذا كانت لها هذه السلطة القوية، التي عن طريقها نفذت إلى العقل فعطلته، وليس هناك سلطة أقوى من سلطة الدين في الهيمنة على العقل وهي السلطة نفسها التي استعملتها الكنيسة في تعطيل العقل أو تقييده وعن هذا الطريق وجدت تلك المعميات طريقها إلى الفكر،لكن المنهج الذي حث العقل على العمل، عرفه طريق الإيمان الحق وبذلك قضى على جميع الأوهام.

إن إعلان الإسلام نفسه إعلان للتخلص من تلك العيوب وما كلمة التوحيد إلا تعبير عن النظافة الفكرية والمعنوية، فكلمة لا إله إلا الله تنفي كل تلك الآلهة المزيفة لتثبت الإله الحق إنها نظافة وأي نظافة، تصاحبها نظافة في الظاهر، وبهذا يكمل التناسق ويتحقق الجمال.

جرائم الفكر:

لعلَّ أخطرَ الجرائم على الإطلاق هي تلك الجرائم التي تمارَس مع الشعوب والأمم، ونعني بها تلك التي تمارس مع الوعي والفكر البشري، ووجهُ خطورتها أنّ ضحاياها ليسوا أفراداً معدودين، بل ضحايا هذا النوع من الجرائم أممٌ وشعوب بأسرها، وهذا بعينه هو الفرق بين الجاهلية القديمة ذات الطابع الأمي البدائي والمحيط المحدود، وبين الجاهلية الحديثة ذات الطابع العلمي الحديث، القائم على تكنولوجيا الأقمار الصناعية،وأجهزة الاتصالات والإنترنت،والفضائيات، وغيرها من الوسائل الجماهيرية ذات التأثير العالمي الكبير والواسع.

وللتفريق بين جرائم الأخلاق -التي ربما تُرتكب في جنح الظلام، وعلى خوف أو استحياء وبين جرائم الفكر التي تُرتكب في وضح النهار، وعلى مرأى ومسمع من الملايين، فكم سمعت واستجابت أممٌ وشعوب لصرخات العلمانيين والليبراليين ودعاة التغريب، الذين يروّجون لأفكارهم وعلى أوسع نطاق، بلا حياء ولا خجل، فكانت النتيجة أرقاما مفجعة، وجرائم مخيفة، ودماراً شاملاً رهيباً حاق بهذه الأمم، وما كانت لتقع هذه الجرائم لولا أنها وجدت قبولاً فكرياً ونظرياً وعملياً لدى البعض، وصمت عنها العقلاءُ والحكماء ونخبُ الأمة وسادتها.

ففي بعض بلدان الجزيرة والخليج، تغاضى البعض عن بنوك الربا، وشركات الأسهم، إلا نفراً قليلاً من العلماء والحكماء ظلّوا يرددون حرمة الربا، ويحذرون من شركات الأسهم، المجهولة الأهداف والمرامي، والمجهولة المصادر والانتماء، وفي وسط هذه المعمعة والفوضى، تأتي الطامة الكبرى، فيتحول شعب من شعوب المنطقة من غني وثري ربما على مستوى العالم، إلى مستوى من الفقر والحاجة والعوز، وخسر المليارات من ثرواته وأمواله ومدخراته، وما كان هذا ليقع لولا جرائم الفكر، واغتيال الوعي، الذي يمارس على الضمير العربي المسلم.

لقد وجدتُ أحدَهم يبكي دهره وزمانه، لقد خسر في هذه الأسهم أكثر من ١٣ مليون ريال، وآخر خسر كل ثروته وماله ومدخراته، ووصل حجم الكارثة حتى إلى العامة وصغار الموظفين ممن باعوا كل ما يملكون من ذهب ومدخرات قليلة، أملاً منهم في توديع الفقر، واستقبال غد أكثر إشراقاً وجمالاً، في حين حُمل البعض منهم إلى المصحات والمشافي، ومنهم من وافته المنية من جراء سكتة قلبية، أودت بحياته.

في الوقت الذي ينادي العلمانيون بخروج المرأة والاختلاط والتفسخ، نرى الغرب وهو على نصرانيته بدأ يتراجع عن هذه البهيمية، ففي قلب أمريكا هناك أربع مدارس يقوم التعليم فيها على أساس عدم الاختلاط بين الجنسين، ومن الطريف في الأمر واللافت للنظر أن هذه المدارس الأربع مخصصة لعلية القوم من التجار والدبلوماسيين وأساتذة الجامعات والطبقة الراقية والمثقفة في المجتمع الأمريكي، وبدأت كثير من القيادات الواعية في الغرب تدعو إلى التعليم غير المختلط، وتدعو إلى حق المرأة في القرار في البيت والتفرغ لتربية الأطفال، والعناية بالزوج والبيت والأولاد، على الطريقة الشرقية، حتى قالت دراسة غربية أجراها مركز ستارش البريطاني للأبحاث العالمية: إن السعوديات أكثر البنات دلالاً على مستوى العالم

حيث يحظين بالخدمة من الجميع، ويتسابق كل من في البيت لخدمتها وإسداء الجميل لها، بالإضافة إلى أنهن لسن بحاجة للعمل فمصروفهن متوفر لهن من أولياء أمورهن دون الحاجة للعمل إن نساء العالم إذن يحسدن المرأة المسلمة على ما هي عليه من دلال ونعيم وتكريم. هذا في الوقت الذي يتبارى فيه المعتوهون من العلمانيين لجرّ المجتمع الإسلامي إلى ثقافة تنكّر لها أصحابُها، وباتوا ينادون صباح مساء بخلافها، ونسمع بين الفينة والفينة عن المظاهرات العارمة بعودة المرأة إلى البيت والسكن فيه، بعيداً عن المصانع والشغل المهين في البيوت وأعمال الحدادة والبويا والميكانيكا الأمر الذي أفقد المرأة أنوثتها وكرامتها وجمالها.

إن أعظم جناية وجرم يمارَس على الضمير المسلم المعاصر هي جرائم الفكر وتزييف الوعي، ومخادعة ملايين البشر، وسَوْق الملايين من القطعان البشرية بسوط التضليل والخداع والتزييف والغش المفضوح والمكشوف، فهل آن الأوان لأن نفرّق بين الحق والباطل، وبين الحقيقة والزيف، وأن نتصدى لهذه الجرائم الفكرية التي يريد منها أهلها أن يلقوا بالمجتمع المسلم في الهاوية السحيقة؟.

حينما يتأزم الفكر:

رحم الله العالم فلان بن فلان وتلاميذه، وغفر الله لذلك المفكِّر وذلك الداعية ومقلِّديهم؛ فلقد عانوا في مقتبل حياتهم العلمية والدعوية الأمرَّين على أيدي مناوئيهم ومخالفيهم كيدًا ووشاية، وملاحقة وتضييقًا، وسجنًا وتعذيباً،وتسفيهاً لفكرهم، وطعنًا في سُمعتهم، حتى إن المتأمل المُنصِف ليَكاد يذوق مرارة تجربتهم سنين طويلة بعد رحيلهم في بعض نتاجهم الفكري وبعض اجتهاداتهم، وينظر العلماء المحقِّقون لنتاجهم، فيُجلون صبرهم وصمودهم، ويقدِّرون أثرهم وعطاءهم، ويأخذون عنهم ويتركون

كما أنهم يجدون لأخطائهم الاجتهادية وشطحاتهم الفكرية بعد بيانها العذرَ تِلو الآخر، فلقد تركت الأزمات التي كابدوها وهي ليست بالهينة بصمات واضحة على بعض فِكرهم، وشكّلت جانباً من ثقافتهم، ووجهت بعض سلوكهم واجتهاداتهم،وتعدَّى أثرُها أشخاصَهم إلى مقلِّديهم فكرًا وثقافةً وتوجهاً وسلوكاً.

عذاب ومعاناة ومحنة وأزمة، يمر بها فرد أو جماعات، فتُنتج فكرًا متأزمًا أي: وليدًا من الأزمة ويشكِّل الفكر المتأزم ثقافة متأزِّمة، ويولد من الثقافة سلوكٌ وترجمة عملية متأزمة، ويستمرُّ هذا الفكر المتأزم بعد زوال الأزمة الأولى، يَحمله وينشره ويبني عليه أجيال من المقلِّدين والمُعجبين والمتحمِّسين، ويَكمن الحرج في المسألة حين يخلط البعض في نسبة بعض السلوك المتأزم المرجوح أو الخاطئ، فلا يَنسبون السلوك المتأزم إلى الفكر المتأزم والأزمة التي وُلد من رحمها، ولا يتأملونه أو يفهمونه في سياقها، بل إنهم ينسبونه خطأً وتعجلاً للدِّين، والدين من بعضه أو كله براءٌ كما يُقرِّره السادة العلماء.

إن ظاهرة الفكر المتأزم ليست مقصورة على بعض أهل الإسلام، لكنها ظاهرة إنسانية عامة، ولقد لوحظت في كثير من الأمم والأديان، وما حال أزمة أوروبا ومصادماتها مع الفكر الكنَسي ببعيدة عن أذهاننا، وما حاضرُهم بشتى جوانبه إلا ثمرات لتلك الأزمة.

إن مبحث الفكر المتأزم في الدول الإسلامية بالغُ الخطر، وجدير بالنظر والبحث المستقل، والتبيين من لدن علمائنا الربانيين والمجالس العلمية والفقهية المعتبرة والمستقلة، ويُفيد هذا المبحث الجليل في دراسة أصل بعض السلوكيات الفردية والجماعية في أمتنا الإسلامية، ونسبة ما يَستحق منها إلى الفكر المتأزم، ويتلو ذلك محاولة تعديل السلوك المتأزم بالعودة إلى أصوله وجذوره الفكرية المتأزمة، وبيان مدى بُعده وانحرافه عن الدين الصحيح ومقاصده العليا.

ليس هذا مقام عرض أمثلة للفكر المتأزم، وهذه لعمري قضية لا يُحسنها العامة وغير المختصين؛ فهي مهمة العلماء المجتهدين، لكننا نشير إلى عموم الظاهرة؛ لأن البعض من المهتمين قد يغفلها حين تقييم السلوكيات بغرض علاجها، وهذا خلل منهجي كبير، كما أن تصحيح السلوك المتأزم لا يفيد فيه الوعظ والنصح واللوم، ولا يستقيم إلا بالكشف عن أصله الفكري المتأزم، وبيان عَوارِه وخلله. ومن نافلة القول أنَّ الفكر المتأزم لا يُصلحه فكر متأزِّم آخر، أو فكر نفعي مسيَّس أو موجَّه، فمن أسباب صمود واستمرار بعض الفكر المتأزم ونتائجه: البُعدُ عن القسط والحكمة في التعامل مع أهله، وقديمًا قالوا أن المنع (المتأزم) غير المُقنِع لا يثمر إلا مزيدًا من العناد والتأزم.

الشخصيات الضالة من إفرازات الفكر المنحرف:

هذا النوع من الشخصيات في الأمة الإسلامية يمثل شريحة متميزة، تكاد تكون كلها من الشباب، وهي فئة ليست أقل ذكاء من غيرها من فئات المجتمع الأخرى، إن لم تكن هي من الأكثر ذكاء وثقافة، وتضم تحت لوائها طاقات عظيمة وهائلة ومتنوعة في شتى جوانب الحياة، وهي قادرة على الاضطلاع بمهام عظيمة في الأمة، التي فيما لو أوكل لها ما هي قادرة عليه وما تشتهيه، وما يتوافق مع مواطن إبداعها، لقامت بأعباء الأمة كاملة تامة، ولأبرزت في الأمة في بضع سنين ما تعجز عنه شعوب الدول الأوروبية والأمريكية وغيرها في عقود . لقد فقدت الأمة الإسلامية هذه الفئة الضالة من الشباب، بحكم ما نُقل لها من فكر منحرف وإسلام هجين، في المدارس والجامعات وغيرها وبما تتمتع به هذه الفئة من ذكاء، فهي لم تقتنع بما نُقل إليها من إسلام، ولم تؤمن بصحته وصلاحيته للنهضة والتطور والرقي والعمران، ففي باطن الفكر الذي نقل إليها، ترى وتشعر أن ما نقل إليها تستحيل النهضة به، وترى أن ما نُقل إليها من إسلام، كما هو الآن، إنما هو أفضل الطرق للتخلف والانحراف والضياع
.

بعض من ينتمي لهذه الفئة الضالة، لم يُشغل نفسه يوماً بموطن الداء، وأخذ الحياة كما هي معروضة له، وبعضهم ظن أن الداء يكمن في الإسلام نفسه، حتى أن تاريخ نهضة المسلمين قد يكون مكذوباً أو مغلوطاً،ونهضة المسلمين ليست منطلقة من فكر الإسلام ورُقيّه،إنما هي مقترنة بذكاء وعبقرية بعض الخلفاء أو أحدهم،،وبعض هؤلاء الضالين يقول أن الإسلام في ظاهره وباطنه صحيح، إلا أنه يظن أن الإسلام لا يتلاءم مع الواقع الجديد والتطورات العلمية والنهضة العمرانية الحديثة، أو يظن أن الإسلام لا يستطيع أن يسير بخطى تكافئ التطور الحديث، أما باقي هذه الفئة الضالة فقد فتنهم ما وصل إليه الغرب فنبهروا به إلى جوار الفكر الغريب الذي يتلقونه عن الإسلام أنه دين الصلاة والصيام والشعائر التعبدية، المجردة من أي نظام للحياة .

لقد كان لهذا التحريف الفكري أثره على أهم فئة من فئات الأمة الإسلامية، ومنها المُحبة للعلم، فجعلها تفقد ثقتها في الإسلام أو في تعلمه أو في التعامل به أو معه، فلا خير في دين لا يُنهض أصحابه ولا يُعزهم،ولا يجعلهم يقودون الأمم والشعوب، ويجعلهم يقتتلون مع بعضهم البعض، ويجعلهم من أفقر شعوب الأرض، وأسفههم، وأقلهم علماً وخلقاً وأدباً،وأقلهم نهضة وأي دين هذا الذي يجعل أصحابه أكثرهم عبودية للغرب والشرق، ولأوامر الغرب، ولزراعته وصناعته وخضوعاً لعسكره، فأي دين هذا الذي يستحيل العيش به وبأفكاره؟ وتستحيل النهضة به؟ ويستحيل الاحتماء به؟ بالتالي تخلى هؤلاء الشباب من الفئة الضالة عن ما هو غير مقنع ، كما يبدو لهم في الإسلام البعيد عن أصوله وفروعه، فبقي بعضهم على العقيدة المزيفة، المليئة بالثغرات كما نُقلت لهم، وتبنى آخرون مفاهيم من غير الإسلام ليستطيعوا العيش بها، حتى ولو كان أصلها من غير عقيدة الإسلام.

وسلك آخرون مسالك غربية أو شرقية، لا يسألون عن أصلها أو موافقة الشرع عليها، حتى لم يتبق عندهم إلا بطاقات التعريف وجوازات السفر، مسجلاً فيها الدين الذي ينتمون أو كانوا ينتمون إليه.

وهكذا نشأ في الأمة هذه الفئة من الشخصيات، التي لم تعد تعرف منهم أو ترى فيهم ما يدلل على إسلامهم، بل وكثرت الظواهر الغريبة فيهم، كالجهر بالزنا والفواحش، والجهر بالتبرج والتعري، والتفاخر بالأحساب والأنساب والأوطان قومية ووطنية، وتفشي ظاهرة الخمر والمخدرات فيهم، وتفشي ظاهرة السرقة والنهب والغش والخداع، وأكل المال بالباطل، وتفشي ترك الصلاة والصيام والعبادات وقراءة القرآن، وتفشي ترك القرآن ودراسته والعمل به والدعوة إلى ما فيه، وأقل هذه الفئات سوءاً من لا تجد فيهم أو منهم من يتعامل بمقياس الحلال والحرام، ولا يعترف بشيء كهذا قليله أو كثيره.

الشخصيات الضالة لم تحظ في الحقيقة ولم تجد ما حظي به شباب المسلمين، منذ تاريخ الإسلام حتى عهد قريب من احترام وتشجيع ودعم ومساندة وتوظيف للطاقات،وتوظيف للأموال والرجال والثروات، لتُسخرها لهم ولاختراعاتهم وابتكاراتهم وإنتاجهم، بل وجدوا خلاف ما يجب، وهو محاربتهم ومحاربة ظهورهم وتكميم أفواههم وكبت طاقاتهم، وأبواباً موصدة أمامهم، وأمام علومهم وإبداعاتهم ومن هؤلاء الشباب من أحب طلب العلم والعمل به في المجالات المتطورة، وأحب إطلاق عنان إبداعاته الصناعية والزراعية والتكنولوجية والاقتصادية والسياسية وغيرها ، فنظر حوله فلم يجد إلا نوافذ وأبواباً مفتوحة على أوروبا وأمريكا وروسيا وغيرهم، هُيّئ فيها من الاحترام والتقدير والأموال والأمن الشيء الكثير مما افتقده في بلدان المسلمين، حتى بات كثير من شباب هذه الفئة الثمينة كنوزاً ظفر بها أعداء الأمة الإسلامية من الأوروبيين والأمريكان وغيرهم.

وللأسف، فهذه الشريحة من الشباب وطاقاتها العظيمة تمثل شريحة واسعة في الأمة، يتحمل إثم ضياعها حكام بلدان المسلمين، الذين يحكمون بالكفر ويبددون طاقات الأمة وثرواتها، يعينهم على هذا الإثم علماء السوء وأساتذة الجامعات والمدرسين بكافة أصنافهم والمفكرين الضالين، وبكافة ما ينقلونه من دين مُحرّف لأبنائنا وشبابنا كافة.

أزمة الفكر(الانسان) العربي في زمن التحولات الكبرى:

يعيش الإنسان العربي في هذا الزمن وسط معمعة التحولات الكبرى التي تحاصره في ذاته وتترصّده في محيطه الصغير وبيئته الكبرى هذا الانسان الذي ظلّ ردحا طويلا ينتظر ويتأمل تحقيق طموحاته وتحسين معاشه يجد نفسه اليوم في حالة غربة حضاريّة وفكريّة جراء التيه الفكري الذي قادته اليه موجات عنيفة متتالية من التضليل العبثي التي تعهّدت بثّها الفرق الخادمة لمغامرات المتصارعين على السلطة ومن السلطة مع ذاتها وخصومها وبعض الواقع العربي الذي تعرضه الشاشات وكثير مما لا تستطيع عرضه اليوم يؤكد ذات الحالة ويقدم للأجيال الجديدة صورة كالحة المنظر لمصير كان جميلا وهو في علم المجهول.

وهكذا حينما يخرج الانسان العربي اليوم الى الشارع متسائلا ومحتجا او حتى باحثا عن لقمة العيش يجد نفسه مطوّقا بالشعارات المعلقة على الجدران أو ملاحقا بها من خلال مكبرات الصوت والشاشات الراجمات لكل فتنة وما يثير الهموم أن كثيرا من مسائل الصراع العربي- العربي لم تعطل التنمية فقط بل عطّلت الفكر العربي عمّا ينبغي أن يتصدى له من مهام ومن أبرزها المساعدة في الخروج من حالة الشلل الحضاري وتحويل موارد ومقدرات الأمة الى أدوات وعناصر إنتاج وبناء.

الواضح أن أمناء الفكر العربي أهملوا أدوارهم الواجبة وانشغلوا وأُشغلوا في مهام الابداع في خطب التسويف وقصائد التبرير والبلاغة في اصطناع التحديات التي تواجه (الشعب) والأمة! وفي حين مضت كثير من شعوب الأرض في تنظيم شؤونها وصناعة أدوارها الحضاريّة قعدت الشعوب العربيّة تتابع الأحداث ثم هي إن انفعلت انطلقت هاتفة في مسيرات بالروح بالدم وراء هذا الملهم، وذاك التاريخي هي هي أزليّة البحث عن الحل في غير مكانه وبذات أدوات الفشل التي تتكرّر في كل زمن وصقع عربي والنتيجة أن الانسان العربي حينما يتلفّت فإنه يرى من حوله كيف سارت حظوظ الشعوب التي حسمت مسارات علاقتها مع المختلف والمتفق معها، ووضعت الأطر القانونيّة والأخلاقيّة لنظام حياتها فيتحسّر على حاله ومآله هو يرى كيف نظّم الغرب مثلا علاقات شرائحه فأعطى الفرد حريّة ومنهج المشاركة، ومنح المجتمع حق محاسبة وتقويم المسار من خلال المجالس والجمعيات والاتحادات والجميع يحتفون بالفكرة ويحتفلون بالنتيجة وحينما يفكر ويراقب الانسان العربي نتائج استيراد بعض هذه التجارب الإنسانيّة وكيف لم يخرج التطبيق العربي في أحسن حالاته عن مأساة مأسسة الفوضى وتكريس العصبيات والانتماءات التي شرعنت لكل فصيل وتيّار فرصة التربّص بخصومه منتظرا ساعة التصفية وباسم الشعب في كل مرّة في ثلاث سنوات عربيات عجاف انكشف عمق الفشل العربي حتى في تقليد نماذج إنسانيّة مكشوفة المدخلات مرصودة المخرجات نعم لم ينجح أي تجمع عربي باسم الديمقراطيّة أو حتى بعنوان مجلس منتخب في تكريس فكرة الاجتماع من أجل الوطن أو تعزيز وحدة المجتمع، أو حتى رسم صورة أكثر أمناً لمستقبل أجيال لا تعلم اين تسير بين ضجيج أصوات تدعوها للموت وأخرى تدعو عليها بالموت.

أسباب أزمة الفكر الإسلامي في هذا العصر:

الباحث في أحوال الأمة الإسلامية اليوم لا يصعب عليه معرفة ما هي عليه من تخلف حضاري ، وهوان سياسي ، ومعانة إنسانية ، رغم كل ما تتمتع به من إمكانات بشرية ومادية ، وما تمتلكه من قيم دينية و مبادئ سامية والأزمة التي يعاني منها العالم الإسلامي اليوم ليست بسب فقر في القيم التي أكملها الله ، وتعهد بحفظها في الكتاب والسنة ، إنما المشكلة تكمن في العجز عن التعامل مع هذه القيم ،وغياب الإنتاج الفكري فالعقل المسلم أصبح اليوم عاجزاً عن التعامل مع ما حوله وفق القيم التي ورثها عن دينه ، وفقد القدرة على تنزيلها على الواقع ، حتى توهم البعض أنها أزمة قيم وأي تشخيص دقيق للأزمة التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم تقتضي تحديد أسباب العجز ومواطن التقصير ، واستقراء التاريخ لأنه المصدر الأساسي للفقه الحضاري.

وأهمية دراسة هذه الأزمة يعود إلى أن غالب ما تعيشه الأمة من أزمات سببها الأزمة الفكرية المعاصرة ، وسائر الأزمات هي نتيجة لها أو مظهر من مظاهرها أو انعكاس لجانب من جوانبها وحقيقة هذا الدين هي اتباع الرسل عليهم السلام الذين لم يأتوا بتعطيل العقل والفكر بل حثوا على التدبر والتفكرحتى أصبح للنص الشرعي حق السيادة في حياة المسلم ، أن هذه السيادة لم تتبوأ هذه المكانة في حياته إلا بإيجابية الفكر الذي حث عليه الإسلام في ظل الحرية الفكرية فحياة الرسول ص قبل الهجرة ليس فيها مدافعة أو حمل سيف إنما قضاها في التبسط لما تتطلبه حرية الفكر من حوار ونظر واستدلال، حتى مكث في مكة ثلاث عشرة سنة على هذا الأمر ،وآيات السور المكية أكبر شاهد على ذلك والحرية الفكرية التي يدعو الإسلام إليها هي الحرية المعقولة فهي ليست حريةً لشهوة الجدل إنما حرية للحق حتى يظهرلذا فقد أوصى الله سبحانه وتعالى نبيه ومن معه بأن يجادل بالتي هي أحسن،ولا مجال للمجادلة وطلب البرهان إلا في ظل الحرية الفكرية.

لذا فلنصوص جاءت في الحث على ذلك قال تعالى (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) ، وغيرها من النصوص القرآنية التي جاءت حاثة على إعمال الفكر وعدم تعطيله وعند تتبع هدي المصطفى ص نجده يفتح لأصحابه باب التفكير والاجتهاد ويجعله منهجاً للامة من بعده ففي حادثة إرساله معاذا إلى اليمن نجده ص حينما سأل معاذ بماذا يفتى قال بكتاب الله ثم بسنة رسول الله ، وإذا لم أجد اجتهد فيهم رأيي فلما سمع جوابه ص حمد الله وأثنى عليه إعجاباً بما سمعه من معاذٍ رضي الله عنه بل كان الرجل من أصحابه يأتي إليه ويسأله عن الأمور العظيمة في الإسلام فيجيبه على مسألته ولا يعنفه وعندما اختلف الصحابة رضي الله عنهم في إقامة صلاة العصر حينما كانوا متجهين إلى بني قريضة ، فصلى بعضهم في الطريق والبعض الأخر صلاها في بني قريضة بعد خروج وقتها لم يعنف أحداً من الفريقين على اجتهاده بهذا استطاع المسلمون أن يبنوا حضارة فكرية عظيمة جعلت الأمم الأخرى تنهل منها،حينما أطلق للعقل عنان التفكير والإبداع ، ولم يحجّر على العلماء والمفكرين ، بل تم منحهم حرية التدبر والتفكير وفق الضوابط الشرعية .

من هذه الانطلاقة الواسعة والنظرة الشاملة نبغ المسلمون في كل علم وفن وبرزوا في مجالات البحث حتى استطاعوا أن يتفوقوا على غيرهم في فترة من فترات التاريخ فعلى الأمة الإسلامية إذا أرادت أن تعود لسابق عهدها أن تفرق بين ما هو وحي معصوم يجب على المسلم اتباعه وبين ما هو اجتهاد بشري قابل للخطأ والصواب فالفكر والاجتهاد البشري لا يحملان قدسية الوحي ، حتى وجد في الأمة من جعلهما في منزلة الوحي ودافع عنهما على أنهما دين الله حتى أحدث ذلك في الأمة أمراضاً فكرية فتاكة مثل تحكم عقلية التقليد ، والتغافل عن عالمية الإسلام أو إساءة فهمها.

إن الانحسار الفكري الذي يعاني منه المسلمون اليوم من أسبابه توقفهم عند ما استنتجته العقول السابقة فقط ورفض ما جاء من نتاج بعدها ، حتى عُطلت القدرات العقلية التي جاءت فيما بعد.ولذا فأن اعتبار ما أنتجته العقول السابقة هو غاية الحقيقة ونهاية المطاف يعتبر حقيقة تخلف الأمة فكرياً وحضارياً ، وهذا الذي جعل الأمة غثاء كغثاء السيل ، و انتهى بها الأمر إلى هذه المرحلة من الانحسار الفكري، والاستفزاز والتحدي الحضاري وهذا لا يعني إن تنسلخ الأمة من تراثها الحضاري العظيم الذي خلفه لها أسلافها ، لكن لابد من الاستفادة منه والزيادة فيه بما يجعله يخدم الأمة الإسلامية اليوم والجهود التي بذلت من علماء المسلمين لم تقف عند جهود من سبقهم من العلماء بل استطاعوا أن يقدموا للعصر الذي عاشوا فيه ما يدفع الحركة العلمية والفكرية إلى الأمام وحاربوا الجمود والتقليد الذي كانت الأمة تعاني منه في زمانهم حتى أصبح الواحد منهم علماً من أعلام زمانه .

ان جدار التخلف الذي تعاني منه الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر اليوم أصبح سميكاً ، والاستلاب الحضاري أصبح محكماً إلى حدٍ بعيد ،إلى درجةٍ يمكن أن نقول معها أن الكثير من جوانب العلوم والمعارف غادرت منطلقاتها الإسلامية ، وتخلت عن أهدافها وأصبحت خارج السياق الإسلامي إن الموقف الدفاعي الذي تتخذه الأمة قد يكون حقق لها بعض الإنجازات ولكنه أفرز الكثير من السلبيات ، والتي تحتاج إلى إعادة النظر في مواقف الأمة الفكرية والثقافية ولعل من أخطر هذه السلبيات شيوع العقلية التبريرية لدى فئة من أبناء الأمة ومحاولة هذه الفئة إعفاء الذات من المسئولية ، ورفض المراجعة لما وصل إليه حال الأمة ، ونسبة الفشل والتراجع الذي أصاب الأمة إلى الغير ومسؤولية الفكر هي مسؤولية الأمة جمعا ، وعلى الأمة أن تستفيد من أخطائها في الماضي حتى تستطيع أن تثبت تحضرها، وأن تقارع الأمم كما كانت في سابق عهدها.

نقاء الفكر ؟ كيف يمكننا ممارسته ؟

نقاء الفكر يتطلب التخلص من كل تعلقات وكراهيات الفكر لا يوجد مكان للكراهية والغيرة اليوم الناس ممتلئون بالكره والغيرة لا يمكنهم تحمل رؤية الآخرين سعداء أو ناجحين هذه إشارة لتلوث الفكر ينبغي على قلب المرء أن يكون كبيراً لتحويل الشر إلى خير وأن لا يسبب ألم لأي أحد وتحت أي ظرف هذه إشارة الى الفكر النقي لا توجد قوة فعالة أكثر من النقاء .

عناصر التفكير السليم:

هل يمكن تشخيص عناصر التفكير السليم؟ نعم يمكن: عناصره ثلاثة: المعرفة العلمية، المنطق العقلي، الضابط الخُلقي من ترافد هذه العناصر الثلاثة، وتلازمها، يتشكل منهج المعرفة، ويصونُ سلامةَ التفكير ولننظر في كل من هذه العناصر الثلاثة: العنصر الأول في المنهج المعرفي هو المعرفةُ العلمية ذاتُها، أي الإحاطةُ بالشيء أو الأمر الذي نتعامل معه إحاطة موضوعية فالمعرفة في سياق تبلورها التاريخي نتاجٌ إنساني مشترك ومضمار المعرفة مفتوح أبدا أمام الاستنباط: تحققا، وتوسعا، وتعمقا، في كافة المجالات في عصرنا المعرفة تتضاعف رأسياً في الرصيد الإنساني، بفضل أبحاث جادة وجريئة يقوم بها باجتهاد دائب علماء أجلاء من مختلف الأمم في عصور سالفة كان للأمة العربية الإسلامية شأن معرفي مشهود حين أنتج علماؤها وفلاسفتها أبحاثاً رائدة على امتداد عدة قرون ثم لما انحسر المد المعرفي العربي الإسلامي أمام ممانعة أهل الكلام، تلقفت نتاجَه أمم الغرب بعملية اقتباس نشط وغزير، ثم باجتهاد ذاتي متواصل، بنى الغرب تراكمياً صرح المعرفة الذي من رحمه انبعثت الحضارة التي نعيش معطياتها وثاني عناصرِه المنطق العقلي به نتعامل مع العلاقات بين الأشياء والأمور: به نربط بين العلة والمعلول،بين السبب والأثر، بين التنظير والتجريب، بين الاستقراء والاستدلال

وصولاً إلى اكتشاف الأوفق من الإمكانات المودعة في الطبيعة، واستنباط الأمثل من الخيارات المتاحة للإنسان لأجل حفظ ذاته،إنماء وعيه، وتدبير معاشه بصرامة ذهنية، وبموضوعية لا تساوم يبين المنطق العقلي الواقعَ كما هو عليه.

ثالث عناصر المنهج المعرفي الضابط الخلقي الذى يرشد الغاية والوسيلة معاً، وبذلك،يدفع الفرد والمجتمع سوياً للارتقاء مسعى الارتقاء كثيرا مايتعرض لمزالق الهوى والحمق الضابط الخلقي يحصن المسعى بتوطيد مبادئ العدل، والمساوة، وكرامة الإنسان، والشورى: المبادئُ الأربعة المؤصَلةُ قرآنيا، التي منها تتفرع جميع حقوق الإنسان عالميا، ومنها تستمد،أو يجب أن تستمد، حقوقُ المواطنة في كل دولة ذلك أنه حيثما توفى حقوق المواطنة توفى حقوق الإنسان، والعكس صحيح من بعد ذلك، الضابط الخلقي يلزمنا بالصدق دوما، وباللاعنف ما أمكن

أثر الفكر الايجابي والسلبي علي الانسان :

يذكر أن هناك ثلاجه كبيرة وذات يوم دخل عامل إلى الثلاجة وكانت عبارة عن غرفة كبيرة دخل العامل لعمل ما فجأة وبالخطأ أغلق على هذا العامل الباب طرق الباب عدة مرات ولم يفتح له أحد وكان في نهاية اليوم وفي آخر الأسبوع ولأن اليومين القادمين عطلة عرف الرجل أنه سوف يهلك لا أحد يسمع طرقه للباب جلس ينتظر مصيره وبعد يومين فتح الموظفون الباب وفعلاً وجدوا الرجل قد توفي ووجدوا بجانبه ورقه كتب فيها ماكان يشعر به قبل وفاته وجدوه قد كتب أنا الآن محبوس في هذه الثلاجة أحس بأطرافي بدأت تتجمد أشعر بتنميل في أطرافي أشعر أنني لا أستطيع أن أتحرك أشعر أنني أموت من البرد وبدأت الكتابة تضعف شيئاً فشيئاً حتى أصبح الخط ضعيفاً إلى أن أنقطع العجيب أن الثلاجة كانت مطفأه

ولم تكن متصلة بالكهرباء إطلاقاً فى رأيكم من الذي قتل هذا الرجل ؟؟ لم يكن سوى الوهم الذي كان يعيشه كان يعتقد بما أنه في الثلاجة أن الجو بارد جداً تحت الصفر وأنه سوف يموت واعتقاده هذا جعله يموت فعلاً.

تأثير الأفكار السلبية على الفرد:

لقد أثبتت الدراسات الحديثة أن للرسائل السلبية الموجهة إلى العقل الباطن للإنسان تأثيراً فعالاً وخطيراً على أفكار الفرد ومعتقداته وبالتالي سلوكه وتصرفاته ،فعندما يستقبل أحدنا رسائل سلبية تقلل من قدره ومكانته أو من مواهبه وأفكاره مثل -:
أنت لست أفضل من غيرك - لا يمكن أن تنجح - فكرتك غبية - هل تعتقد إنك أذكى من الآخرين - إن أحلامك مستحيلة التحقيق - ونحو ذلك كثير ، فقد يستسلم الفرد لهذه الرسائل ويصدقها فتدخل إلى العقل الباطن وترسخ فيه ثم عند أي محاولة بعد ذلك للعمل والجد والإنجاز والتميز ستظهر هذه الرسائل يقول الأستاذ عبد الدائم الكحيل -:يجب عليك أن تتخيل دماغك على أنه مجموعة من الأجهزة الهندسية الدقيقة التي تعمل وفق برنامج محدد، أنت من سيدير هذا البرنامج وهذا هو مفتاح النجاح!أما إذا لم تدرك هذه الحقيقة فسوف يُدار دماغك من قبل الأصدقاء والأهل والمجتمع والمؤثرات المحيطة بك، وستصبح إنسانا انفعالياً وغير قادر على التحكم فى ذاته أو عواطفه يقول العلماء -:إن الطفل العربي يتلقى من سن الطفولة إلى سن الرشد أكثر من ١٨٠٠٠ رسالة سلبية تختزن في عقله الباطن ثم تظهر على شكل تصرفات غير سوية لشخصية مضطربة وكم فشل الابن لأن أباه منذ الطفولة كان يقول له يافاشل لأنه لم يأخذ الدرجة النهائية في حين أخذ أقل منها بدرجة واحدة الإسلام يحارب الرسائل السلبية يقول الدكتور بدر عبد الحميد هميسه -: وقد رفض الإسلام الرسائل السلبية التي قد تأتي للإنسان من داخل ذاته أو من خارجها وتكون سببا في تثبيط همته وتقويض عزيمته

قال تعالى مخاطبا نبيه ص -: وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وقال -: (وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) وحينما استكثر المسلمون ما أصابهم من البلاء يوم أحد وقد كانوا أصابوا يوم بدر من المشركين ضعف ذلك فأنزل الله عز وجل في ذلك-: (أولما أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وكذلك يبشر الله عبده بالمخرج منها حين تباشره المصائب، ليكون هذا الرجاء مخففاً ما نزل من البلاء وكان ص يغير الأسماء التي من الممكن أن توصل إلى أصحابها رسائل سلبية عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ حَزْنٍ ، عَنْ أَبِيهِ ؛ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ص، فَقَالَ :- مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ :- حَزْنٌ ، قَالَ :- أَنْتَ سَهْلٌ ، قَالَ :- لاَ أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ : فَمَا زَالَتِ الْحُزُونَةُ فِينَا بَعْدُ أخرجه البُخَارِي وفي الهجرة المباركة لما خاف الصديق على رسول الله من أذي قريش وقال لرسول الله -: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَنْظُرُ إِلَى قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ رفض الرسول ص هذه الرسالة السلبية وقال له في ثبات المؤمن ويقينه بربه -: يَا أَبَا بَكْرٍ ،مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَافأنزل الله تعالى -: إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ ِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

أسباب تعطيل الفكر وأنتاجه عند العرب:

أن الثورات العربية ناقصة للفكر وصناعتة ، الفكر الحر الخالي من الرقيب والحسيب حيث تطرح الأفكار وتناقش بين الأطياف لا أن تحارب وتدان أو أن يكفر أصحابها صناعة الفكر أو أنتاجه يتطلب أرضاً حرة خصبة تتوالد فيها الأفكار وتناقش وتعاد صياغتها لتنتج جيلً يعتني بالأفكار ويتدارسها ويأخذ ما يناسبه منها لتحسين حياة الأنسان وطريقة عيشه، ورفاهيتة كمستخلف في الأرض

فذلك هو الهدف والدول المتقدمة منتجه للأفكار الحرة والسبب يأتي من التجارب التي خاضتها معرفة مدى أهمية البوح بالأفكار وعدم كبتها فذلك يصنع مجتمعات أقوى فالفكر الحر قد يناقش كل مّسلم وقد يتطرق الى مواضيع حساسة جداً، ولكي نصل الى هذه المرحلة ننتج فيها لا أن نكون اتباعاً ، ولا حبيسي كل قديم عفى علية الزمن ونريد أن نسبق العالم بحلم أن المسلمون سيحكمون العالم بالعدل لقد ولدنا مبرمجين على مجتماعتنا العربية أخذين الجيد والسئ ، ومّسلمين بأننا كنا شئ في ما مضئ، وأننا نحاول أن نعود كما كنا من قبل بطريقتنا العنجهية المتعجرفة ، إننا أقوام لا نصنع فكراً ونضع كل القيود على الأفكار بحجة العادات والتقاليد، أو الخوف من التكفير، أو لأننا ولدنا هكذا ويجب أن نظل كما نحن.

المجتمعات العربية لا تفكر لأسباب عدة من أهمها أنفسنا اولاً وثانيها برمجتنا في طريقة تعليمنا وتلقيننا في المدارس و الجامعات العربية، كل ما يهم هو أن نحفظ ما يقال لنا وإن فكرنا أصبحت قلة أدب وتطاول على معلمينا والسبب أن معلمي الجامعات العربية قلما يحصلوا على التدريب أو التطوير في أساليب التعليم الحديثة ، وهي ايضاً سذاجة من يظن أنه امتلك المعرفة الكاملة ، السبب الآخر هو أنظمتنا العربية نفسها، فقد صممت مناهج تجعل الطلاب أتباعاً لا مفكرين لنسخ الكتاب ولصقة يوم الأمتحان، نعم فالتفكر عندنا نحن العرب تهديد للدولة ونظامها أو تكفير وخروج عن الملة وكبت الأفكار بحجج النظام العام أو الأخلال بالمجتمع فهذا ما جعل شعوبنا العربية تثور في حلقة مفرغة بعد سقوط الطواغيت القدامى ، لم تعرف ما تريد ولم تحقق اي شئ ومن تبعات كبت الأفكار أن يجعل ما يسميهم البعض علماء يسردون فتاوى في كل ما هب ودب كأرضاع الكبير، وتحريم قيادة المرأة للسيارة، وإكتشاف او إختراع دواء للإيدز ذلك في الجيش والآخر في المسجد ، نحن في إنحطاط وفراغ حقيقي، والمشكلة أن أغلبنا لا يدري ولا يدري أنه لا يدري وكبت الأفكار يجعلنا في أسفل الأمم .

الباب الرابع
التغذية الفكرية وتوجيه الآخرين

قد تستطيع إجبار الناس على فعل ما لا يريدون، لكنك لن تستطيع إجبارهم على التفكير إلا فيما يريدون .

فى قضية أفغانستان: تم توجيه الرأي العام لمحاربة الروس ونصرة المجاهدين ومساعدتهم بشتى الأشكال ومنها الجهاد، وبعد أن تحقق المطلوب، رأينا العجب فمن كان مدعومًا أصبح محاربًا، وما كان مغنمًا أصبح مغرما، والسبب هو تغير المحتل، ومثلها كذلك قضية البوسنة والهرسك، وقضية الشيشان وغيرها كثير والقضية لا تتعلق بالجهاد والمجاهدين فقط، بل حتى في القضايا الاجتماعية والشرعية أحيانا، فما كان متفقا على تحريمه أصبح مباحا وجائزًا، وما كان مرفوضًا اجتماعيًا وعرفًا أصبح مقبولًا بل ومطلوبًا، بل حتى في القضايا السياسية، ففي وقت من الأوقات اقتنع الكثير أن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل، وبعد فترة من الزمن نفى المثبتون وأعلنوا أن العراق لا يمتلك تلك الأسلحة، ومع ذلك بقي العقاب على الشعب العراقي، ومثلها في ليبيا وسوريا ومالي وغيرها كثير.

نعم ليس صحيحًا أن ندَّعي أننا ضحية مؤامرة، ولكن من المهم التأكيد على وقوعنا ضحية للممارسات ووسائل تستهدف السيطرة على الفكر وتوجيهه نحو أهدافهم، صحيح أن هناك فريق فتح الله على بصيرتهم وأرشدهم إلى معرفة الحق واتباعه، وهؤلاء وإن كانوا قلة هم الوقود الذى تحتاجه الأمة لتكشف الحقائق وتنير الطريق والمقصود هنا بيان الطرق والأساليب المستخدمة في توجيه الآخرين، والسعي في توظيفها في الخير وتحقيق مقاصد الشريعة والوسائل ليست وليدة الساعة، لكنها نتاج سنوات وخبرات بشرية، والحقيقة أنه قبل التجارب الإنسانية هناك كتاب رب البرية وسنة هادي البشرية ص، التي فيها البيان الواضح لتلك الطرق والوسائل والشرع الحكيم تعرض لتلك الوسائل بأكثر من أسلوب.

لكي تستطيع توجيه السفينة أو الطائرة أو السيارة إلى اتجاه معين، فلابد من ثلاثة عوامل:

١- معرفة كيف تعمل و خصائصها وطرق التحكم فيها.

٢- الاتجاه التي تسير إليه، فقد تكون متجه إلى حيث تريد، فلا داعي للتغيير.

٣- الوجه الذي تريد تغيير اتجاهها له.

وكذلك الإنسان والله أعلم ، فلكي تستطيع توجيهه إلى فكر معين وطريق محدد فعليك بهذه الثلاثة:

أ- معرفة طبيعة الإنسان وخصائصه ومداخله، وهذه يشترك فيها الكثير من الناس إن لم يكن كلهم، وهذه الطبيعة وتلك الخصائص إنما تدرك بإحدى الوسيلتين أو كليهما:

الوسيلة الأولى: ما تحدث به خالق الإنسان عن الإنسان، فالخالق هو الأعلم بالخلق ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ .

الوسيلة الثانية: الدراسات البشرية والتجارب الإنسانية.

والفرق بين الطريقين أن الأول جزماً صحيح، فلا تدخله احتمالات الخطأ، بينما الثاني قابل للصواب والخطأ ويتأثر بعوامل كثيرة منها اختلاف البيئة واختلاف التربية وغيرها.

ب- اتجاهات الإنسان: وتختلف من مجتمع إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى، ومن شخص لآخر، ولكن ثمة أمور مشتركة وقيم في كل مجتمع، يمكن معرفة هذه القيم وتلك الأمور عن طريق الدراسات الطويلة والملاحظة الدقيقة.

ج- الاتجاه المطلوب: وهو الثمرة التي يسعى إليها من يستخدم التوجيه.

وإلى الوسائل العشرة:

-١ التزيين: اقرأ هذه الآيات•: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾.

هذا الكم من الآيات يُعطي دلالة واضحة على أن العبد لا يُقدم على عمل إلا حين يشعر أن فيه مصلحة أو منفعة أو متعة له، ومن هنا فلابد من بيان المصلحة والخير للمُخاطَب وتغيير فكره عن الموضوع وإقناعه بجدوى الخيرية والمنفعة له، وما لم يتم ذلك فلن تستطيع تغيير الاتجاه حتى لو استخدمت القوة والقهر، فمع زوال القهر يرجع العبد إلى ما يحب وما هو مقتنع به وهذا الكلام أيقن به البشر حديثاً، وظهر العديد من النظريات التي تقول: لابد من تغيير القناعات والأفكار قبل تغيير الواقع، ولعل الاحتلال الحديث اقتنع بهذا، فبعد التجارب المريرة بدأ بالغزو الفكري وألغى فكرة الغزو العسكري إلا عند الضرورة.

ولما كانت تلك طبيعة بشرية كان لابد من التزيين حتى في الخير والحق، قال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ، وهذا ما نمارسه في حياتنا اليومية مع أنفسنا وأبنائنا وكل من نريد إقناعه بقضية ما، تجد أنا نجتهد في تحبيب الأمر له وبذل الجهد في تزيين القضية، وعلى مقدار نجاحنا في ذلك يكون العطاء أو على مقدار نجاحنا في تغيير فكره نحو تلك القضية يكون تغيير اتجاهه وفي عصرنا الحديث ومع التقدم التكنولوجي وعصر السرعة أصبحت فنون التزيين كثيرة ومتنوعة ومتجددة، وكلنا يلمس ذلك.

-٢ التلاعب بالمصطلحات:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وكل لفظ له مدلوله، وله تأثيره على النفس سلباً أو ايجاباً، ولا ينبغي إلغاء تأثير اختيار الألفاظ على الغير،ومن أجل تغيير القناعات بالفكرة وقبولها، مع أنها مرفوضة وغير صحيحة يُستخدم تغيير المصطلحات والكلمات ليقل تأثيرها على النفس أو يتحول إلى تأثير ايجابي بدل السلبي، ومن ذلك قوله ص-: (ليشربن أناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها)، فلكي يتم قبول شرب الخمر مع العلم بتحريمها يُستبدل باسم آخر مقبول ومحبوب فبدل الخمر يُقال مشروبات روحية أو غيرها من الأسماء.

وما يقُال عن الخمر يُقال عن غيره، فبدل الربا تُسمى فوائد وبدل المنكر الخطأ وبدل الفاسق المطرب والممثل، ويعبَّر عن الزنا بالحرية الشخصية وبدل الحدود الشرعية القوانين وغيرها كثير ومع الوقت تصبح المصطلحات الجديدة هي السائدة،وتضييع المصطلحات الأصلية ومعه يُمحى التأثير السلبي لتلك المصطلحات، فيصبح من يمارس تلك الأعمال مقبول بل وربما محبوب وممدوح .

٣- اللحن بالقول: واللحن القدرة على تحوير الكلام، والذهاب به إلى ما يريد المتحدث، ومنه ما جاء في الحديث إنما أنا بشر، وإنكم تَختصِمون إليَّ، ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وأقضي له على نحوٍ مما أسمع، فمَن قضيتُ له مِن حق أخيه شيئًا فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له قطعةً من النار، هكذا تكون نتيجة اللحن فأقضي له؛ أي: يَحصل على ما يُريد وإن لم يكن حقًّا، فإذا كان هذا عند خير البشر، فكيف بغيره؟.

وما نشاهده من تحليلات ومناظرات وحوارات خيرُ شاهد على ذلك؛ فالأخبار واحدة، ولكن لكل قناة تحليلُها، والذي تسعى مِن خلاله إلى إيصال رسالتها، وزَرعِها في ذهن المُشاهِد، وتستخدم في ذلك اللحنَ في القول، كما أنها تستضيف وتُحاوِر مَن يُرسخ قيَمها ومبادئها وما تسعى إليه، وكل هذا وذاك دون أن يشعر المشاهد بذلك، وتلك هي خطورة اللحن.

واستمع لتلك القصة: جاء الأحنفُ سيد أهل البصرة وكان فاضلاً فصيحًا مفوَّهًا فقَدِم على عمر فحبَسه عنده سنة يأتيه كل يوم وليلة، فلا يأتيه عنه إلا ما يُحبُّ، ثم دعاه فقال: تدري لِمَ حبستك عندي؟، قال: لا! قال: إن رسول الله - ص- قال: إنَّ أَخوَفَ ما أخافُ على هذه الأمة المنافق العليم، ثم قال: خشيتُ أن تكون مُنافقًا عليم اللسان، وإن رسول الله ص حذَّرَنا منه، وأرجو أن تكون مؤمنًا، فانحدِر إلى مِصرك.

إنه أكثر ما يخاف علينا، وما ذاك إلا لخفائه وتلبُّسه بما ليس فيه، وقدرته بفصاحته وبيانه، ويضلهم بجهله.

٤- التكرار:مما يُذكر في النوادر عن أشعب أنه قال لشخص: إنه ثمة وليمة في المكان الفلاني وهو غير صادق، فذهب الرجل ولم يَرجِع، ثم أخبر رجلاً آخَر فذهَب ولم يرجع وثالثاً ورابعاً، ولما رأى أشعب أنهم يذهبون ولم يعودوا، قال: لعلَّه ثمَّة وليمة فعلاً، فذهب إلى المكان. !

فمن أخطر الوسائل، وأكثرها تطبيقًا على جميع المستويات، وفي مختلف المجالات نظرية: اكذب اكذب؛ حتى تُصدَّق، وأظنُّنا بحاجة إلى مراجعة بعض الأمثال لدينا، التي رسَّخت أموراً قد لا تكون صحيحة؛ فمثلاً: ما في دخان مِن غير نار، حبل الكذب قصير، والواقع يشهد أنه يوجد سحُب مِن الدخان كما يوجد بعض الكذب الذي استمرَّ لقرون مِن الزمن حتى اكتُشفَت الحقيقة.

إن تكرار أي قضية يعطي رسالة في العقل اللاواعي، ويرسخ المعلومة في العقل الواعي، ويدفع صاحِبَها إلى تبني موقف أو قول، ويُدافع عنه بشدة، ويرد على كل مَن يُنكِر هذا القول أو يستهجِن ذاك الفعل.

ومن المهمّ التفريق بين التكرار والنسخ؛ فالنسخ إعادة المعلومة بالطريقة نفسِها، أما التكرار، فهو إعادة المعلومة أو القضية بطرُق مختلفة ومتنوِّعة أما في العصر الحديث، فلا أظن أنه مرَّ على البشرية مثله استخداماً لوسيلة التكرار؛ فتقنية الصوت والصورة، والحركة والخدع، وتناقُل المعلومات أتاحت فرص كثيرة لتقديم المعلومة أو القضية بصورة مختلفة تماماً، وربما عكس الحقيقة؛ فعلى سبيل المثال: تعال إلى حيث النكهة، والحقيقة: تعال إلى حيث النكبَة، أَوَلَيس التدخين نكبة باعتراف أطباء وعقلاء العالم؟ ومثلها قضية الإرهاب ، ومِن أشهر الأمثلة في هذا الموضع بالذات قضية أو قضايا المرأة العربية أو المسلمة أو الشرقية، فهي مظلومة أو مهضومة الحقوق، ومظلومة مِن الرجل، ومظلومة مِن المجتمع، ومظلومة من العادات والتقاليد، وسلسلة طويلة عريضة تُقدَّم للمجتمع عَبْر: مسلسلات درامية- برامج للحوار- أخبار انتقائية- صور إجرامية وغيرها كثير، فبعد هذا الكم الهائل والمبرمج، لا تَستغرِب أن يكون مِن بيننا مَن يُردِّد تلك القضية، ويُناضِل من أجلِها بقوة مِن الجنسَين،ولا تَستغرِب حين يتغيَّر هذا المتحدث بعد المراجعة والمُدارسة والمناقشة، فتنجلي له الحقيقة، ويظهر له المستور.

٥- إثارة الفضول:﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ من الدوافع الغريزية للإنسان الفضول، والسعي لاكتشاف المجهول، والحرص على معرفة الممنوع، وكما يقولون: كل ممنوع مرغوب، فتفاصيل الأحداث ودوافعها قد تخفى، وحينها تبدأ رحلة البحث، وحبُّ الحصول على المجهول مما يُعطي الفرصة لقَبول ذلك المجهول .أول مَن عرف تلك الحقيقة هو الشيطان، فاستخدمها مع آدم فقال له: إنما نهاك الله عن تلك الشجرة؛ حتى أن تكون ملَكًا أو مِن الخالدين، وثمَّة سؤال مُبطَّن وهو: لماذا نهاك الله عن الأكل من هذه الشجرة؟ مما أثار فضول آدم ولما كان ليس لدَيه إجابة وافية، جاء الشيطان ليقدم له الاقتراح الذي لا يمكن التأكُّد منه إلا بالأكل مِن الشجرة، وهو ما يسعى إليه الشيطان ومِن هذا الباب تدخل الكثير مِن القيم والمبادئ دون أن يَشعر الإنسان، فهناك الكثير من الأحداث والوقائع التي لا يستطيع الفرد معرفة حقائقها ودوافعها،فيخرج لنا المحللون ليضعوا النقاط على الحروف، ومِن المتَّفق عليه أن مَن يضع النقاط هو مَن يجعل الكلمة تُقرأ كما يُريد هو والمتأمل في حياته سيُلاحِظ الكمَّ الهائل مِن الحقائق والنظريات، التي تَصرَّف على أساسها،ليس مصدرُها المعلومةَ إنما طريقة تحليلها، وتبرير دوافعها.

٦- التبعيض:﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما:- ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾؛ قال: هم أهلُ الكتابِ؛ جَزَّأُوهُ أَجزاءً، فآمَنوا ببعضِه وكفَروا ببعضِه.[٥] وحين تُعرض قضايا وأحوال المسلمين وما يُعانونه مِن قتل وتشريد، فإنه يُطلب منا المساعدة فى الإغاثة في الأكل والشرب والخيام وغيرها من الماديات، أما المساعدات الجوهرية في بناء الإنسان وصلاحه، فلا تُقدَّم لنا، وتبقى في أجندة فريق معيَّن وجِهَة متخصِّصة؛ لذا فإنا نلاحظ أنَّا نجمع تبرعات لتلك المساعدات الإنسانية؛ فنحن نبني جسدًا، وهم يتولون الفكر .

إن قضية التبعيض خطيرة، وقد يغفل عنها كثير من الناس، ومن هنا كانت العقوبة الربانية في الدارين؛الخزي في الدنيا، وأشد العذاب في الآخرة للممارسين لذلك، مِن القديم والحديث ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

استدرار العاطفة :العاطفة في التعريف العام، هي حالة ذهنية كثيفة تظهر بشكل آلي فيالجهاز العصبي وليس من خلال بذل جهد مُدرَك، وتستدعي إما حالة نفسية إيجابية أو سلبية.

٧-خصائص العواطف:

الاكتساب: فنحن لا نولد وبداخلنا عاطفة اتجاه شخص أو شيء معين إنما تتكون العاطفة من تكرار اتصال الفرد بموضوع العاطفة.

ذات صبغة انفعالية: فالعاطفة تتكون من مجموعة من الانفعالات المتباينة تدور حول موضوع واحد وقد تثير العاطفة الواحدة أكثر من انفعال.

والدراسات الحالية ترى أن العاطفة جزء أساسي من اتخاذ قرارات الإنسان وتخطيطه للحياة فالعاطفة جزء أساس ومهم من الإنسان وربما هو الجزء الأهم في تحريك العبد نحو العمل، وحتى العقل يستخدم المعلومات وترتيبها ورصدها كخطوة نحو الهيجان العاطفي الذي بدوره يدفع الإنسان إلى العمل، وكلما كانت العاطفة أقوى كان الاندفاع والبذل والتحمل أكبر والعكس صحيح وعليه إذا أردت دفع الإنسان نحو عمل معين ما عليك إلا بناء العاطفة لديه اتجاه هذا الموضوع، وأبشر بالنتائج المبهرة عند نجاحك، وبناء العاطفة يعتمد على أمرين مهمين: معلومات مقننة- إدراك طبيعة المشاعر البشرية .

فالإنسان يحب ويكره ويخاف ويرجو ويفرح ويحزن ويرغب ويرهب، وكل هذه يتبعها أعمال أو ردود افعال متباينة بحسب الموقف والمعلومة لذا كان الشارع الحكيم يُعطي المعلومات التي تبني هذه العاطفة بصورة متوازنة تجعل العبد يسير بخطى راسخة في حياته دون تعثر أو استعجال، فالحب في الله والبغض في الله والخوف من الله ورجائه وتحبيب الإيمان والترغيب فى الجنة وخيرها والتبغيض فى الكفر والترهيب من النار كل هذا وذاك وفق معلومات فيها إجمال أحياناً وتفصيل في أحيان أخرى، وهذا أمثلته كثيرة في الكتاب والسنة.

ولقد أدرك ذاك بعض بني الانسان، وأوغلوا في ترسيخ العواطف والمشاعر تجاه قضايا معينة بحسب ما يريدون وبأساليب متنوعة وكثيرة بالصوت والصورة والحركة والإثارة ولغة الأرقام وغيرها، فالقتل والتشريد والتعذيب وانتهاك الأعراض والقسوة على الطفولة كل هذا يوظف بطريقة محترفة لزرع عاطفة معينة تجاه هذا الموضوع لدى المستقبلين، والنتيجة الطبيعية هي الحركة البشرية في حل القضية ثم يُقدّم الحل فيقبله الناس حتى لو كان مرفوضاً عقلاً وشرعاً وعرفاً، لكن من أجل معالجة تلك المظاهر العاطفية والصور الممقوتة،واللبيب بالإشارة يفهم.

٨- الرموز الوهمية:عن أبي هريرة أن رسول الله ص قال: إن بين يدي الساعة سنين خدّاعة، يصدَّق فيها الكاذب، ويكذَّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة قيل: وما الرويبضة قال التافه يتكلم في أمر العامة صورة للانقلاب الفكري والاجتماعي ومنه نطق الرويبضة، ليست القضية وجود الرويبضة ولكن المشكلة هي السماح له بالكلام، ولم يكن لهذا الرويبضة أن يتكلم إلا حين أُعطي الفرصة وأخذ ما ليس له فيه حق، وإلا فلو أيقن الناس أنه رويبضة لما استمعوا له

وبمعنى آخر تم قلب الموازين عند الناس فأصبح الكاذب صادق والصادق كاذب والرويبضة شخص مهم ورمز يُرجع إليه في الأمور الكبيرة لعامة الناس.

فمَن يرفعه الإعلام ويبرزه ويُظهره بالصورة المُلمّعة الصورة البراقة الصورة المشرقة سيكون هو الرمز، والمتأمل في واقعنا يرى ذلك، فلو سألت الشباب من الجنسين عن مثلهم الأعلى والشخص رقم واحد لديهم معاصر ستجد غالب الإجابات إما فنان أو فنانة أو لاعب كرة، والسبب في ذلك هو الدور الاعلامي في إظهار هذه الشخصيات من حيث المقابلات وتعظيم الانجازات الوهمية وتحويلها إلى إنجازات وطنية وعالمية بالإضافة إلى الضخ المالي عليهم ولهم، وملاحقتهم بالأضواء في كل حركة وسكنة، فمن الطبيعي تقليدهم في ملبسهم ومأكلهم وأشكالهم، فهم الرموز الوطنية والنماذج الانسانية، فهل تستغرب بعد ذلك أن يتحدثوا في أمور العامة.

٩-الكثرة السلبية:يقولون الكثرة تغلب الشجاعة ، من طبيعة الإنسان أن ينظر إلى الكثرة على أنها صحيحة أو حق دون تأمل في الجوانب الأخرى لذا جاء الشارع الحكيم في معالجة هذه القضية وتصحيح النظر إليها، فقال تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، فطاعة الكثرة الغري صحيحة مصيرها الضلال .

أمام تلك الحقائق يأتي أصحاب الفكر ليزجوا بمجموعة كبيرة من الآراء التي تخدم قضية معينة وترسم طريقاً محدداً في التفكير حيال هذه القضية، فمع الضخ الكبير والكم الوفير تصبح هناك قناعة لدى المتلقي بأن هذا الموضوع حق وأن تلك القضية صحيحة وأن الحل هو بالشكل الفلاني فقد ذكره قلان وفلان والمؤسسة الفلانية والمركز الفلاني والتحقيق المصور.

فالمسلمون فاشلون والعلماء مقصرون والدعاة غائبون وأهل الفكر نائمون وأهل الجد مغيبون وأهل البدع منتشرون والغرب متفوقون والشرق متميزون وغيرها، وهكذا تصل تلك الرسائل وتستقر في الأذهان فتكون نتيجتها التسليم وعدم الرغبة في التغيير بحجة عدم إمكانيته، ثم السير مع الكثرة .

١٠-التدرج: قالت عائشة - رضي الله عنه :- إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبدا ، لقد نزل بمكة على محمد - ص-وإني لجارية ألعب: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده.

نعم فالنفس البشرية ترفض التغيير المفاجئ ولا تستجيب له إلا في أضيق الحدود، وإذا كان هذا في الأمور والأحكام الشرعية فغيرها من باب أولى وهكذا تغيير الفكر والسيطرة عليه، فمن الصعب جداً ان تُغير الفكر بسرعة، فلابد من التأني والصبر وقبول القليل للحصول على الكثير، وقد قيل الزمن جزء من العلاج، ومن استعجل الثمر قبل أوانه عُوقب بحرمانه، وهذا ما حدث مع بعض دول الاحتلال حين أرادت تغيير الشعوب بسرعة فاستخدمت القوة، فكانت النتيجة الهزيمة الفكرية ثم الهزيمة العسكرية فخرجت من البلاد خائبة خاسرة، وفي المقابل هناك دول استخدمت طريقة التدرج فحققت شيئاً مما تريد في صناعة الفكر حتى بعد خروجها من تلك البلاد. ولا يمكن استخدام العشرة طرق في الوقت نفسه، وفي الظروف ذاتها، ومع الكل،بل لا بد من خلطة تحقق المراد، فقد لا يُستخدم إلا بعضُ العشرة كما أن بعضها تكون نسبته أعلى في وقت وزمن محدد، بالضبط كما يصنع الطاهي،فلكل أكلة طَعْمُها وقيمتها الغذائية،التي تعتمد على استخدام المكونات بطريقة مختلفة.

وقبل بيان الخلطة في توجيه الآخرين ينبغي التذكير بمثلَّث مهم، وهو:

- تغيير الفكر يعني الاستمرار غالباً- فمرض الأفكار أفتكُ من مَرَض الشهوات .

-رد الفعل عادة يكون قوياً؛ لذا يجب الحرصُ على عدم الخطأ.

- الإخفاق في وقت ما لا يعني الفشل الدائم، بل يعني أن الخلطة غيرُ مناسبة، أو غير مناسبة حالياً .

والآن نوضح كيفية عمل الأدوات العشرة السابق ذكرها وَفْق الخطوات التالية:

الترمومتر: يذكر في كتب التاريخ، أنه أثناء الصراع بين المسلمين والفرنجة أرسل أحد ملوك الفرنجة جاسوساً للمسلمين لكي يستطلع أحوالهم، وحين وصل الرسول (الجاسوس) رأى أحد الغلمان وهو يرمي بالسهم ثم بكى، فاقترب منه وسأله: لماذا تبكي يا بني؟

ألا تعرف يا عم، لقد أخطأت في إصابة الهدف.

وماذا في ذلك، لعلك تصيب في المرة القادمة؟!

قال الطفل باستغراب ماذا؟ في المرة القادمة؟ ومن يضمن لي أن عدوي سينتظرُني حتى أصيبَه في المرة القادمة.

فعاد الرسول إلى ملكه قائلاً: ليس هذا هو الوقت المناسب لكي تحارب المسلمين وبعد سنوات يرسل الملك الرسول نفسه إلى المسلمين؛ للتعرف على أحوالهم وينطلق الرسول ويصل إلى ديار المسلمين، وعلى الساحل يرى أحد الغلمان وهو يبكي، فاقترب منه وسأله:ما الذي يبكيك يا بني؟

لقد هاجرتْ حبيبتي وتركتْني وحيدًا، أفكِّر فيها ليل نهار، ألا يستحق ذلك البكاء يا عم؟ بلى، وأكثر من البكاء.

عندها رجع الرسول مسرعًا إلى ملكه قائلاً: هذا هو الوقت المناسب لغزو المسلمين وبغض النظر عن صحة القصة من عدمها، إلا أنها توصل الرسالة المطلوبة، وهي قياس مؤشر قبول الفكرة لدى المستهدَفين، ومن الطرق المستخدمة في ذلك بث بعض الأفكار وجس النبض حيالها، وكذلك طريقة ملاحظة المجتمع، وما فيه من تغيرات، وطريقة ثالثة، وهي الدراسات العلمية الداخلية والخارجية.

-٢ تجميل الفكرة والتمهيد لها؛ من خلال الرموز الوهمية، والتلاعب بالألفاظ، والإيهام بأن الكثرة مع هذه الفكرة، مع إثارة الفضول في بعض القضايا.

-٣ التخلية: وهي محاولة إبعاد كل فكرة معارضة، وتوظيف التبعيض في بيان سلبياتها، وتصغير رموزها، وتسليط الضوء على نقاط ضعفها، حتى لو كانت غير صحيحة، لكن ليس بصورة مكشوفة، بل باحتراف وتقنية عالية.

-٤ التمهل: ويعني محاولة التخلية بصورة متدرجة، وفي خط موازٍ مع التخلية،وهي إضافة الفكرة الجديدة بصورة متدرجة، ودون شعور عدائي، ويتم ذلك من خلال التكرار، وتوظيف الرموز، واستدرار العاطفة.

٥-الاستمرار : ويعني ضمان بقاء الفكرة وتجذرها، وضمان الحصول على ثمارها، وهذا يكون غالبًا بتوظيف نظرية التكرار والرموز الوهمية، التي تنقل الفكرة من العقل الواعي إلى اللاواعي؛ حتى تصبح قيمةً من القيم لدى الإنسان، فلا يقبل التنازل عنها .

وعلى سبيل المثال نأخذ قضية تعليم المرأة في السعودية:

الترمومتر: تعليم المرأة مرفوض

التجميل: من خلال الطرح الشرعي في البداية، ثم ظهرت أول امرأة في التعليم،.

التخلية: طرح التعليم غير الشرعي؛فهو عنوان المدنية الحديثة، والتركيز على مخرجات التعليم الشرعي الضعيف، وإبراز الحاجة إلى التعليم الآخر، فظهرت أول طبيبة، وأول مهندسة، وأول مصممة وهكذا؛ أي: إن تعليم المرأة انتقل من القبول إلى الحتمية والضرورة، وتم إضافة فكرة أخرى، وهى وظيفة المرأة الأساسية، فصُغِّر جانب عملها المنزلي، وقُللت أهميته،وعُظِّم جانب العمل خارج المنزل)حتى لا يتعطل نصف المجتمع.

التمهل: مع انتشار التعليم وتنوعه، لا بد من إبراز الفكرة (التعليم غير الشرعي)،ومقارنته بالعلم الشرعي؛ فإبراز الرموز الوهمية، وتسليط الضوء عليها، والإشادة بإنجازاتها، وتكرار ذلك في مختلف الوسائل وبشتى الطرق،حتى وصلنا إلى تفضيل المتخصصة في التعليم غير الشرعي على التعليم الشرعي في غالب أوساط المجتمع، وأصبحت النظرة إلى الدراسات الشرعية نظرة دونية، أو على أنها أقل شأنًا من غير الشرعية.

الاستمرار: مع التكرار وصناعة الرموز الوهمية، أصبح تعليم المرأة في مختلف المجالات قضيةً لا تقبل النقاش، وترسخ لدى النساء أنها لا بد أن تتعلم،ويفضل التعليم غير الشرعي؛ لينتقل بعد ذلك إلى قضية هي من ثمار التعليم، ألا وهي التوظيف وعمل المرأة، فكانت معركتها أخفَّ بكثير من التعليم؛ لأنها إحدى نتائج تعليم المرأة، فهل تدرس المرأة وتتعلم وتحصل على الشهادة العالية لتبقى في البيت؟ ثم جاءت قضية الدراسات العليا والابتعاث إلى الخارج، وسيتبعها قضايا أخرى كثيرة .

وهكذا تم توجيه فكر المجتمع وتغييره؛ ليصبح تعليم المرأة قيمةً من قيم المجتمع التي لا يقبل التنازلَ عنها، وعمل المرأة في الطريق، وسفر المرأة على الدرب؛ كل هذا لتخرج المرأة بإرادتها، وبرغبة من وليّها، وبدافعٍ من مجتمعها، وتوظيف من دولتها، فتم السيطرة على فكر المجتمع حيال هذه القضية، وأصبحْنا نترقب كل جديد من ثمار هذه الفكرة لا لنقبله، بل لندافع عنه، أو لتدافع عنه نساؤنا، وبلُغَتِنا، ودون الحاجة إلى غرب أو شرق بقي القول أن توجيه الفكر والسيطرة عليه، ليس عملية سهلة، بل محفوفة بكثير من الصعاب والعقبات.

ان الإنسان عالَم معقَّد، ومخلوق مميز، يَصعُب معرفة أغواره، وحصْر العوامل المؤثِّرة عليه، لذا من الصعب التغيير الفكري للإنسان؛ فهي عملية يكتنفها الكثير من الظروف والمتغيّرات والصعوبات، التي يَصعُب حَصرُها أو التكهُّن بها؛ فهي صعبة وسهلة، وطويلة وقصيرة، وممكنة وغير ممكنةقد يقبل الآخرون الفكرة داخليًّا في أنفسهم، لكن سلوكهم لم يتغير وَفق القناعات الجديدة، والعقبات التي سنتحدث عنها هي التي تمنع صاحبَها مِن قَبول الفكرة، أو عدم تحويلها إلى سلوك في حياته، أو الاثنين معاً؛ مما يُظهر لك عدم قبول الفكرة، أو عدم نجاحك في توجيهه نحو ما تريد سلوكاً، أما أهم تلك العقبات، فهي خمسة:

١- تشرُّب الفكرة:قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وعبَّر عن حب العجل بالشرب دون الأكل؛ لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها، والطعام مجاور لها غير مُتغلغِل فيها وفي الحديث: تُعرَض الفِتَن على القلوب كالحصير عودًا عودًا؛ فأيُّ قلب أُشرِبها، نُكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرَها، نُكت فيه نكتة بيضاء؛ حتى تصير على قلبَين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًّا، كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه

وهذا واضح جدًّا عند أصحاب الرسالات والمبادئ، فهو يُدافع ويُناضل من أجل فكرته؛ لقوة قناعته، حتى لو وصل الأمر إلى الموت من أجل هذه الفكرة، ويعتبر موته انتصاراً.

٢- تأثير الآخرين:لما حضَرتْ أبا طالب الوفاةُ، جاءه رسول الله ص فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: (أيْ عمِّ، قل: لا إله إلا الله، كلمةً أحاج لك بها عند الله)، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبدالمطلب، فلم يزل رسول الله ص يعرضها عليه، ويُعيدانِه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله.

لم يكن بين أبي طالب ودخول الجنة إلا قولُ كلمة، لكنه رفض بسبب تأثير الآخرين، لا لعدم قناعته بدعوة محمد ص فمما قاله في قصيدته المشهورة:

٣- الموروثات السابقة:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ هكذا يُخبرنا القرآن الكريم، كل قرية يَعترض مُترَفوها ولا يقبَلون، والسبب في ذلك موروثات الآباء والأجداد.

٤- رفض صاحب الفكرةوذكر محمد بن إسحاق عن الزهري في قصة أبي جهل، حين جاء يستمع قراءة النبي ص من الليل، هو وأبو سفيان صخر بن حرب، والأخنس بن شريق، ولا يشعر أحد منهم بالآخَر، فاستمعوها إلى الصباح، فلما هجَم الصبح تفرَّقوا، فجمعتْهم الطريق، فقال كل منهم للآخَر: ما جاء بك؟ فذكر له ما جاء به، ثم تعاهَدوا ألا يعودوا؛ لما يخافون من علم شباب قريش بهم؛ لئلا يفتتنوا بمجيئهم، فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم؛ ظنًّا أن صاحبَيه لا يجيئان؛ لما سبق من العهود، فلما أصبحوا جمعتهم الطريق، فتلاوموا ثم تعاهدوا ألا يعودوا.

فلما كانت الليلة الثالثة، جاءوا أيضاً، فلما أصبحوا تعاهدوا ألا يعودوا لمثلها ثم تفرَّقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت مِن محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ قال: تنازعْنا نحن وبنو عبد مناف الشرفَ؛ أطعَموا فأطعَمْنا، وحَمَلوا فحملنا، وأعطَوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفَرسَيْ رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدِّقه، قال: فقام عنه الأخنس وتركه فرفْضُ أبي جهل لا لكونه غير حقٍّ، لكن لأن الرسول ص من بني عبد مناف.

٥- التكبُّر:﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾: السجود حركة ليستْ صعبة، فكيف لو كان عدمها يؤدِّي إلى نتيجة وخيمة، وهي الخلود في جهنم، فهل كان الأمر صعباً على إبليس أو مستحيلاً لدرجة قبول تحوُّله مِن مكان التشريف الذي كان فيه، إلى مكان الخزْي والعذاب المهين؟ فكيف إذا كان الأمر من صاحب الفضل والنعمة والمنّ عليك؟! أمر يصعب تصديقه لولا أن الله أخبرنا به ويزول العجب حين تقرأ السبب أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، فالمشكلة ليست في الحركة؛ إنما في الكبْر والعناد وهكذا يكتسب بعض الناس تلك الصفة وينمّيها بنفسه حتى تمنعه من قبول الحق.

التغذية الفكرية:

الإنسان يمكن أن يموت إذا لم يأكل خلال بضعة عشر يومًا؛ أي: إن الإنسان لا بد له من تغذية أو إذا لم يشرب الماء خلال ثلاثة أيام؛ أي: إن الإنسان لا بد له من الشرب أو إذا لم يتنفَّس خلال دقائق؛ أي: إن الإنسان لا بد له من هواء ويمكن أن يموت فكريًّا خلال.. أي: لا بد من تغذية الفكر.

وإذا كنا جميعًا نجتهد ونسعى من أجل تغذية الجسد من المأكل والمشرب، بل وتفنَّن فيه البشر من حيث الشكل واللون والطعم والمذاق، فانتشرت المطاعم بشتَّى أنواعها ،وأصبح أحد معايير الرقي في المجتمعات البشرية، كما أنه يُدفع الكثير من الأموال في ذلك وفي الجانب الآخر ظهر أمر خطير، وهو التلوث البيئي (الغذاء، والماء، والهواء)، وأصبحت هناك منظَّمات عالمية وهيئات دولية ومحليَّة هدفُها الأساس المحافظة على البيئة،ومراقبةُ الشركات المنتجة للأطعمة، وغيرها؛ مما يعطي مؤشرًا واضحًا على أهمية الموضوع.. فما مدى أهمية تغذية الفكر؟ وماذا لو لم تتم تغذيته؟ وماذا لو انتشر التلوث الفكري وأصبح وباءً؟ وأيهما أهم: التغذية الجسدية أم التغذية الفكرية؟ إن موت الجسد غالباً ليس سبباً لدخول الجنة أو النار، لكن الموت الفكري قد يؤدي إلى خسارة الدنيا والآخرة لذا كان من الأهمية بمكان أن تَطرح على نفسك السؤال التالي:كيف أستطيع تغذية فكري؟ وإذا كان الفكر هو جُهدًا ذهنيًّا يقوم به الدماغ نتيجة لمؤثِّرٍ ما، فإن تغذية الفكر تكون بركنين أساسيين، هما:

١- التزود بالمعلومات : فالأساس في أي عملية هو المعلومات التي لديك عن هذه العملية، وكلما كانت المعلوماتُ أكثرَ وأوفر، كانت رؤيتُك أوسعَ وأشمل، وقرارُك أقربَ للصواب، ومعالجتُك أحسنَ في النتائج، والعكس صحيح، ومن هنا؛ فإن الحرب القادمة هي حرب معلومات، وعلى مقدار ما تملِكه الدولة من معلومات تكون أقربَ للانتصار.

ولعل هذا أحد الأسرار في وجود كم كبير من النصوص الشرعية التي تَحُث على طلب العلم، وترغِّب فيه، فالعبد لا بد له من عِلم ومعلومات من أجل عبادة صحيحة، ومن الملاحظ في حياتنا اليومية أن الإنسان صاحبَ العلم الكثير يَصعُب إضلاله؛ كما جاء في الحديث عن النبي الكريم - ص-: لفقيهٌ واحدٌ أشدُّ على الشَّيطان من ألف عابدٍ ومما يجب التنويه إليه أنه ليس المطلوب هو جمْعَ معلومات بأي شكل ومن أي مصدر؛ إنما المقصود المعلومات التي تنطبِق عليها الشروط التالية :

- معلومات صحيحة، ولها من الأدلة ما يُثبت ذلك، وإياك والاغترارَ بالكثرة؛ فليس كل كثرة دليلَ صحة، اقرأ هذه الآية: ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، ولما كانت صحة المعلومة يبني عليها موقف أو سلوكيات؛ فقد حذَّر نبيُّنا ص من اتِّباع الظن أبلَغَ تحذير، فقال: (إياكم والظن؛ فإن الظن أكذبُ الحديث)، وانظر ماذا حدث مع إبليس؛ فقد قال مبرِّرًا رفْضه السجود لآدم - عليه السلام :- ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ ، فقد بنى أنه خيرٌ من آدم - عليه السلام - على معلومة، وهي أن النار خير من الطين، فمن قال ذلك؟ وما دليل هذه الخيرية؟ وكم في حياتنا من مواقفَ وقراراتٍ بِناء على ما وصَلنا من معلومات،ثم نندم بعد أن يتَّضح لنا أن المعلومة غير صحيحة أو ليست بالصورة التي وصلتنا

- سلامة المصدر: إنَّ العلم دينٌ، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم؛ هكذا قال الإمام محمد بن سيرين، فهذا الكلام وإن كان خاصًّا بالعلم الشرعي،لكنه منهج يجب تطبيقُه في كل المعلومات؛ نظراً لما يعتمد عليها بعد ذلك، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه -: لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم وعلمائهم، فإذا أخذوه من صِغارهم وشرارهم هلَكوا، وهذا ما استشفَّه من مِشكاة النبوة؛ فقد قال - ص-: ((إن الله لا يَنزِع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، لكن ينتزِعه منكم مع قبْض العلماء بعلمهم،فيبقى ناسٌ جهَّال، يُستفتَون فيُفتُون برأيهم،فيُضِلون ويَضِلون، وهكذا حين يختلّ المصدر (العلماء)، تختل المعلومات؛ فالنتيجة الحتميَّة هي الضلال والإضلال.

- مناسبة: فليس كل معلومة مناسِبةً لكل فرد وفي كل زمان وفي كل مكان؛ فما يُناسب الصغير لا يناسب الكبير، والعالم غير الجاهل، وما يَصِح أن يُقال الآن، قد لا يصح بعد زمن، اسمع قول علي - رضي الله عنه -: حَدِّثوا الناس، بما يعرفون أتُحِبُّون أنْ يُكذَّب الله ورسولُه.

فهذا يُعالج قضية النظر إلى المستمِع أو المتلقي، ومعيار آخر، وهو خطورة المعلومة، وعدم مناسبتها لظرف معيَّن، ومنه قول أبي هريرة رضي الله عنه حفِظتُ من رسولِ اللهِ ص وعاءين: فأما أحدُهما فبثَثْتُه، وأما الآخر فلو بثثتُه قُطِع هذا البُلْعومُ،ومعيار آخر، وهو نتائج انتشار هذه المعلومة، ومنه حديث: أن النبيَّ ص ومعاذٌ رَديفُه على الرَّحْل، قال: يا مُعاذُ بنَ جبلٍ، قال: لبَّيك يا رسولَ الله وسعديك، قال: يا مُعاذُ، قال: لبَّيك يا رسولَ الله وسعديكَ ثلاثاً قال: ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، صدقًا من قلبه، إلا حرَّمه الله على النار،قال: يا رسولَ الله، أفلا أُخبر به الناسَ فيستَبشِروا؟ قال: إذًا يتَّكِلوا، وأخبَر بها مُعاذٌ عند موته تأثُّمًا، لقد أخَّر معاذ رضي الله عنه بثَّ الحديث إلى حين وفاته؛ خوفًا من إثم كتْم العلم، والعاقل هو الذي ينظر في حاله، ويعرف زمانه، فيأخذ من العلم ما يناسبه، ويتدرَّج بالمعلومات بحسب ما يوافِقه، هذا ليس خاصاً بالعلم الشرعي فقط، بل في عموم العلم، فأهل التربية متَّفِقون على ضرورة مراعاة حال المتعلِّم ومدى مناسبة المعلومة له؛ لذا فإن بناء المناهج يكون متسلسلاً ومتدرِّجاً بحسب المتعلِّم، ولا يُعطى المتعلم فوق مستواه، واقرأ معي هذه الآية: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾،إن من معاني الربانيين: أنهم يُربُّون الناس بصِغار العِلم قبل كِباره.

أما الركن الثاني في تغذية الفكر، فهو: معالجة المعلومات: وتلك قضية مهمة وحيوية، ويَتفاوت فيها الناس كثيراً، وعلى العبد السعي في تكوين المهارات الفكرية لديه؛ ليستطيع تغذية فكره بصورة ممتعة.

الباب الخامس
الغزو الفكرى والتبعية الحضارية

الاستعمار الثقافي، والغزو الفكري، والتبعية الحضارية:

إنَّ ما حدث ويحدث مِن مُحاولات سَلْخ الأمة عن ماضيها، وعَزْلِها عن واقعها، وتَهْميش دورها الحضاري،وإضعافها مستقبلاً تمهيدًا لتدميرها ، لم يكن وليدَ هذه الأيَّام، إنَّما هو نتاج عقود من العمل الدَّؤوب، وحياكة المؤامرات، وزراعة الفِتَن والأشواك الضارَّة من عُمَلائهم، ربيبة ال,.y الثقافيّ، جنود الغَزْو الفكري ودُعاة التَّبعية الحضاريَّة، فحملات دعاة التغريب المستمرَّة، التي أثبتَتْ خيبتَها فيما تدعو إليه من تقدُّمِنا الحضاري، أدَّت إلى تَهْميشنا حضاريًّا، وعلميًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا، وتبَعِيَّتِنا للغرب وهذا هو الهدف الحقيقيُّ وإن ادَّعوا العكس، ونجحَتْ في اغترابنا في مُجتمع لم نَعُد نألفه، وواقعٍ لَم نعد نسيطر عليه، وما زالت تنادي بأنَّنا في حاجة إلى مزيد من التَّغريب؛ فلم نستورد ما يكفي من القِيَم والمبادئ، والأخلاق لنتقدَّم مثلهم، وما زالت ألسنتُهم وأقلامهم تَلُوك العبارات الفجَّةَ المسمومة من أنَّ سببَ تخلُّفِنا هو الإسلام، مُنادين بِمَزيد من التبعيَّة للغَرْب المتقدِّم، والاستزادة من التخلُّص من تراثنا الفكريِّ والتاريخي، وأصالتنا الحضاريَّة، وديننا القويم؛ لنتقدَّم! فذريعة التقدُّم التي دعَوْا إليها وصاحُوا ونادَوْا بها، لِدَفْن ماضينا، وإهْمال أصالتنا ، وسَحْق كرامتنا باعتبارنا الطَّائفة المهزومة فكريًّا وحضاريًّا، وثقافيًّا واجتماعيًّا في معركتنا مع الاستعمار في بدايات هذا القرن، التي بَهرنا بها المستعمر بأسلحته وتقنيته، وحضارته.

هذه الذريعة لَم تكن تستهدف تقدُّمَنا إنَّما هدفت وما زالت إلى نشر الغزو الفكريِّ، ورَبْطِنا بالتبعية للمحتل السابق وجلاَّد الأمس، وقَتْل أصالتنا الحضاريَّة، فعن طريق غَزْو العقول، وتشويه الأفكار وتشويش الوقائع والأحداث، ورَبْطِنا روحيًّا ومعنويًّا به هذه الفئة من العملاء الثقافيّين والغُزاة الفكريّين ودُعاة التبعيَّة، هم جنود لِمُحتل لم يُجْلَ عن أرضِنا ونفوسنا، وإعلامنا وتعليمنا واقتصادنا

لكلِّ دورة في الْهَدم والتخريب، أو التَّشويه والتشويش، أو الطَّمس والتدليس، ولكن لِمَ يربطوا نتاج أعمالِهم القذرة الخبيثة بالإسلام؟ أو يدَّعون أن الرجعيَّة ويقصدون الإسلام هي سبب التخلُّف؟!.

ويستعينون بكلِّ الأسلحة، ويستخدمون كلَّ الخدع، ويجرِّبون كل السُّبل في نشر أفكارهم وشنِّ الحرب على الإسلام، وتدمير كلِّ من يفضح عمالتهم، ويكشف عوراتهم الفكريَّة، أو يُعْلن أهدافهم الكامنة المسمومة.

الأَوْغاد الذين يَدْعون إلى التَّبعية يتجاهَلون أن ينقلوا الصُّورة الكاملة لما يريدون منَّا أن نَتَّبِع، ويتغاضون عن أدَقِّ التفاصيل في العَرْض ، كما يلتزمون بالكذب والتدليس على عَقْل السامع والقارئ، وبالتَّشويه والتزوير؛ لنصدِّق فعلاً أنَّ للغرب حضارةً فأين الحضارة؟.

إنَّهم يسلخوننا عن هويتنا:ما الهُوية إلاَّ إدراكنا الذَّاتي الواعي لماهيَّتِنا ، وأسباب وجودنا وتاريخنا؛ لنعرف مَن نكون وماذا نريد، ماذا كُنَّا وماذا أصبحنا، لِنَعرف ماذا سنصير، إنَّها ستعلِّمُنا الهوية ماذا نريد أن نكون.

هذه الهُوية لا تكتمل ملامِحُها إلاَّ بإدراك مراحل تاريخِنا وتطوُّرِنا المختلفة ودراسة منحنيات تاريخنا،ومنعطفاته، من نكبات ، وسقطات ، قبل البطولات والانتصارات؛ حتَّى نعرف متَى نكرِّرُ أخطاء الماضي؟ وماذا سيحدث حين نكرِّرُها لكن هذه الهُويَّة: استُهْدِفَت منذ أجيال، منذ العهود الأولى للاستعمار، عندما رَغِب الاستعمارُ في أن يوظِّف إمكاناته لِفَهمنا، ودراسة طبيعتنا وتقييمنا؛ ليعرف ماذا سيقبل عليه عند احتلالنا ، وكيف يغيِّر ويتلاعَب بشخصياتنا لِنُصبح تابعين له، فبدأ بالمستشرقين في أجيالِهم الأولى بدراستنا ثُم مُحاولات النَّيْل منَّا وتدميرنا.

فالمستشرقون من أجيالهم الأخرى، بعد أن انتقلوا من مرحلة الدِّراسة إلى مرحلة الهجوم والاختراق والتشويه والتضليل، مُطْلِقين سهامهم المسمومة إلى قَلْب الأُمَّة، مستهدِفين مثقَّفِيها وعلماءَها، والتطبيق الإسلامي للقانون والحدود لرعاية المجتمع، ويُحاولون سَلْخ المسلمين عن هويتهم التاريخية الحقيقية، وطمْس انتصاراته وملامح بطولاته ، وتزويرَ ماضيه، وتشويهَ أحداثِه ودقائقِه، فيتلاعبون بالمناهج الدِّراسية ، طامسين قصصَ التَّضحيات والبطولات، مُضَخِّمين الهزائم والهفوات والزَّلات والأخطاء؛ من قبيل تشويه الشَّخصيات، وتزوير الأحداث في ذِهْن المتلقِّي؛ السامع، أو القارئ.

إنَّهم يعرفون أن الإسلام يغرس ويُرَبِّي وينمِّي روح التحدِّي والمنافسة، ويزرع أملَ النَّصْر والتفوُّق، فهم يُدَمِّرون النماذج والمثُل، بإعدام تاريخِنا وتشويهه وتضليله واستبدالِه بتاريخٍ مزوَّر مدسوس مصنَّع في الغرب؛ لإحباطنا عن استعادته، وربطنا بهم وإخضاعنا لِهم إنهم يرمون إلى تدمير أخلاق الإسلام وآدابه، واجتماعيَّاته، وحُدوده وقوانينه وعباداته ، بتنفير الفرد والمُجتمع منها؛ لِيَسهل عزْلُها عن أرواح الناس، وقَتْلِها تطبيقًا وفكرًا وعبادة.

فهل الإسلام فعلاً هو المعوِّق للتقدُّم والحضارة والرُّقي؟ كما يدَّعون؟

لا؛ فشَواهد التاريخ تشهد بكذبِهم، وتفضح زورَهم، وتكشف عمالتهم، وتصيح بخيانتهم.

الغزو الفكري:

يقول الحق سبحانه عن الكفَّار عمومًا} :وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا{ ويقول عن كفرة أهل الكتاب خصوصًا : }وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى }فأخبر سبحانه أنَّ سُنته القدرية الباقية التي لا تتخلَّف إلى قيام الساعة عداوةُ الكفار لهذا الدِّين ولأتباعه.

ولن تزول هذه العداوةُ حتى ينسلخ المسلمون من دِينهم، فالكفَّار على اختلاف مشاربهم جادُّون في العمل على طَمْس هذا الدِّين لو استطاعوا؛ {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }وقد جرَّبوا غزوَ بلاد المسلمين بالجيوش الجرَّارة، فأدركوا أنها لا تُحقِّق لهم ما يريدون، حتى لو احتلُّوا بلادَ المسلمين فترة من الزمن طُرِدوا منها شرَّ طردة في نهاية المطاف، حتى حينما يجازف قائدٌ أرعن من قادة الصليبية باحتلال بلاد المسلمين تكون خسائرُه أكثرَ من مكاسبه، فدمَّر بمجازفته قوةَ بلاده الاقتصادية والسياسية، ومكانتها العالمية.

أمام هذه الحقيقة ، لجأ الغربُ إلى غزو آخرَ أقلَّ تكلفةً، وأكثر تأثيرًا، وهو الغزو الفكري لبلاد المسلمين، فعمل جاهداً على تغيير قناعات بعض المسلمين بطرق متعدِّدة،عن طريق الكلمة والمؤتمر،والكتاب والصحيفة، والقناة والفيلم، وعن طريق التعليم عبرَ البعثات الدراسيَّة لبلاد الغرْب، أو فتْح مدارس وجامعات في بعض البلاد الإسلامية لتخرِّج طلاَّبًا وطالبات يحملون أفكارَه وأهم وسيلة للغزو الفكري في عصْرنا وسائلُ الإعلام، فجعل الغرب مَيْدانَ المعركة بعضَ وسائل الإعلام، فنقل المعركة من الاعتداء على الأموال والأبدان وقتْلها إلى محاولة تغيير العقول وغزوها، وتحويل ولائها، فأعظم غزوٍ يمارسه عبرَ وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلاَّت، وقنوات ومواقع إنترنت.

فقام الغربُ بإنشاء قنواتٍ ومواقعَ إلكترونية، وجعل مسؤولين عنها من بني جِلْدتنا، ممَّن يتسمَّوْن بأسمائنا، فهم في الظاهر منَّا، لكنهم أُشرِبوا حبَّ الغرب وثقافته، فهم مبشِّرون بثقافته وقيمه، يروِّجون لأفكارهم بواسطة بعض مَن ينسب إلى الخير، لا سيَّما ممن أقام أو يُقيم في بلاد الغرب، وتأثَّر بهم، وضَعُف عنده الولاء والبراء، إضافةً إلى جهلهم بعلوم الشريعة

فأغلبُ مَن يقدّمون في قنواتهم ووسائل إعلامهم أُناسٌ غير متخصِّصين في أيّ فرْع من فروع الشريعة، ولا يُعلم عنهم طلبُ العِلم، والتتلمذُ على العلماء، يُقدِّمون هؤلاء على أنهم يمثِّلون علماءَ الشريعة ودعاتها، وهم أبعدُ الناس عن ذلك في حالهم ومقالهم. ومن أساليبهم في غزوهم الفكري العملُ على إفساد الأخلاق، ونشْر الرذيلة بين المسلمين عبرَ الأفلام التي تصوِّر الفاحشة، يعملون على تهوين أمر الفواحش في النفوس، وتسميتها بغير اسمها، فيسمُّون اللواط بالمثلية الجنسية، يسعون جادِّين لإخراج المرأة مِن عفتها وحجابها باسم الحريَّة؛ لأنهم يعلمون أنَّ المرأة هي السدُّ المنيع، فإذا فسدتِ المرأة فسدتِ الأجيال، وانغمسوا في الشهوات، فكانوا أبعدَ الخَلْق عن الاهتمام بدِين أو خلق يقومون بشراء بعض الإعلاميّين ممَّن لا يعملون في وسائل إعلامهم، فيدعمونهم ويمكِّنون لهم للترويج لأفكارهم، والتبشير بمدنيتهم الزائفة ومن أساليبهم إبعادُ ناشئة المسلمين عن دِينهم عبرَ ما يسمُّونه بتجفيف المنابع،بإلغاء دروس التربية الإسلاميَّة، أو تفريغها من محتواها ، بحيث تكون مجرَّدَ توجيهات للآداب العامَّة، التي يتَّفق الناس على استحسانها؛ مسلمُهم وكافرُهم .

الانفتاح الفكري.. حقيقته وضوابطه:

الانفتاح الفكري مصطلح جديد، يحمل مفاهيم متعدِّدة وتتداوله الكتب العصرية، والنشرات الصحفيَّة دون تحديد دقيقٍ لمعناه، فقد يطلقه البعضُ ويريد به الاطِّلاع وسعة الإدراك، وعدم قصر الفكر على مجال محدَّد، وقد يراد به مفهومًا اصطلاحياً خاصاً، وبهذا يكونُ الانفتاح من المصطلحات المجمَلة التي تحتاج إلى التفصيل عند دراستها، ولكن إضافة الانفتاح إلى العقل والفكر لَم يُعرَف في اللسان العربي وتركيباته، بينما نجده موْجودًا في النسَق اللغوي الغربي، ويدلُّ على تأثُّره بالأوضاع الفكرية والثقافية التي سادت المجتمعَ الغربي، وصراع الكنيسة مع العلم

ودورها السلبي في التعامل مع المجتمع، وهو بهذا المعنى يتضمَّن معانٍ غير صحيحة، وله إيحاءات ودلالات سيئة وسوء ظن بالشريعة الإسلامية واتهام لها بالانغلاق، وهو كذلك انهزام أمام الفكر الغربي، واعتباره انفتاحًا من الانغلاق.

والقولَ بحاجة الفكر الإسلامي بمعنى حقائق الإسلام العقَديَّة المتَّفق عليها إلى أي فكر بشري آخر كالقول بحاجة الله تعالى للإنسان، لكنّ المنهزمين فكريًّا ونفسيًّا لَم يتصوَّرُوا أولاً: طبيعة هذا الدين وخصائصه ومميزاته ومصدره، ثم لم يعرفوا ثانيًا الخلل الكبير الذي وقَع فيه الفكر الإنساني المبتعد عن الله تعالى في تصوُّره وقيمه وأدبياته، ونحن هنا لا نقصد أفكار آحاد المسلمين القابلة للأَخْذ والرد،لكن نريد الفكر الإسلامي المجمع عليه والمستند بوضوح إلى الوحْي الرَّبَّاني.

ضوابط الانفتاح الفِكْرِي : من حيث المبدأ، فإن الانفتاح على العالم فكريًّا وثقافيًّا له آثاره المفيدة في العلوم الدنيوية، إذا كان ممن التزم بدينه وعقيدته، ولا يخاف عليه الضلال أما المطالبة بشكل عام بالانفتاح على الغير،دون تحديد لنوعية القضايا التي يتم فيها الانفتاح، ونوعية المطالب به، فليس كل أحد يقدر على أخذ المفيد وترْك الزغل؛ فهذا لا شك في خطئه ومنافاته للمحافظة على الخصوصية التي تميز بها المسلمون عن غيرهم، لذا فلا بُدَّ مِنْ وُجُود ضوابط أثناء الانفتاح على الثقافات والمعارف بشكل عام، نوجزها في ما يلي:

أولاً: أن يكونَ الانفتاحُ بعد العلْم الشَّرْعي: فإن العلم بالشريعة الإسلامية ضرورة لمعرفة دين الإسلام وتطبيقها والعمل بها، وضرورة للانفتاح الفكري على الثقافات والآداب غير الإسلامية، فالانفتاح المفيد يكون بعد تصور عقيدة الإسلام وأحكامه تصورًا صحيحًا والثقة بها، ورد كل ما يخالفها من عقيدة أو عمل، أما الانفتاح قبل العلم فإنه مزلق خطير .

ثانيًا: أن يكونَ الانفتاح مع الالتزام بالإسلام:الإسلام دين شامل لكل جوانب الحياة الإنسانية، وثابت في قواعده وعقائده، وقد صور الأستاذ سيد قطب كيفية ثبات الإسلام مع تطوُّر الحياة وأنماطها المختلفة؛ فقال: إنه تصور رباني، جاء من عند الله بكل خصائصه، ومقوماته، وتلقَّاه الإنسان كاملاً ؛ لا ليزيد عليه من عنده شيئًا، ولا لينقص كذلك منه شيئًا، ولكن ليتكيف هو به وليطبق مقتضياته في حياته.

ثالثًا: الانفتاح دون الانبهار بثقافة الغير: الانبهار بثقافة غير المسلمين وآدابهم وأفكارهم ومناهجهم دليلٌ على عدم العلْم بالإسلام، والاعتزاز به، والثقة المطلقة بصدقه، ودلالته على الفلاح والهداية في الدنيا والآخرة، ويدل على ضعف شخصية المنبهر، وهزيمة نفسه، وقصور فكره، ومن كانتْ هذه حاله فلن يتجاوز التقليد المجرد، أما التجديد والتطوير والإبداع والابتكار

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: ومن الانفتاح المحذور: الانفتاح المبهور بثقافة الآخر، حين ينظر إليه مضخمًا من شأنه، معظمًا من فكره، شاعرًا بالدونية تجاهه لسبب أو لآخر، فكل ما قاله هذا الآخر، فهو صدق، وكل ما رآه فهو صواب، وكل ما فعله فهو جميل .

ويُمكن للمسلم أن يطلع على ثقافات الأمم الأخرى بعد العلم، ومع الالتزام ودون انبهار ليعرف نعمة الله تعالى عليه، أو للاطلاع على الصناعات والمخترعات المفيدة في قوة المسلمين أو غيرها من المصالح المشروعة، وأي أمَّة جادَّة تريد تطوير نفسها لا يمكن أن تسمح بالانبهار بالآخر بين أبنائها، فلما ذهب جيل من اليابانيين إلى الغرب رجع وهو يلبس الجينز، ويُقَلِّد الغرب في كل شيء ذبحهم حاكم اليابان، وأرسل جيلاً آخر لَم يتأثرْ بشيءٍ من العادات أو الأفكار، بل تعلم التقنية والتكنولوجيا وتطوراتها فأصبحت من الدول الصناعية المنافسة.

الانفتاح المحمود الوعي والتحرر الفكري فالمتأمِّل في التاريخ الإسلامي يجد أن الأمة الإسلامية تعاملتْ مع غيرها من الأمم، من خلال الفتوحات الإسلامية الواسعة التي شملتْ دائرة واسعة من الأرض في زمن يسير وعندما دَخَل المسلمون هذه البلاد الواسعة مع تنوُّع ثقافاتها واختلاف مناهجها وفهمها للإنسان والكون والحياة، استطاعوا التعامل معها بنفعها بما جاء به الرسول -ص- والانتفاع بأخذ الأمور الدنيوية المفيدة، وترك ما لا فائدة منه، ولم يذوبوا في هذه المجتمعات.

وأساس هذا الانتفاع هو أن المنهج الرباني يأمر بعمارة الأرض وبناء الحياة وتطويرها وفق منهج عقدي محدد ، وبهذا استطاعوا الجمع بين الثبات على الإسلام عقيدة وشريعة، مع أخذ المفيد من الحضارات المختلفة وعندما انْحَرَفت طائفةٌ من المسلمين في هذه المعادلة المتقنة، وأخذوا من الأمم الجاهلية أمورًا منافية لكتاب الله تعالى؛ عابهم عامةُ الأمة، وحذروا منهم وسموهم أهل الأهواء ومِنْ هنا نلاحظ أنَّ الانفتاح المنضبط الذي حدث في الأمة الإسلامية نوعان:

١ - تشجيع الإبداع والاختراع بناء على أن هذه الأمة هي أمة العلم والفكر والبناء.

٢ - الاستفادة مما لدى الأمم الأخرى من الإبداع الإنساني الذي لا يُخالف الإسلام لهذا استطاع جيلُ القرون الثلاثة المفضلة أن يضعوا قانونًا منْضبطًا لحفْظ العلوم الدينية وماله ارتباط بها مثل العلوم العربية والتاريخية وغيرها، وكذلك استطاعوا التعامُل الصحيح مع أبناء البلاد المفتوحة مع اختلاف ثقافاتهم، وتنوُّع أفكارهم.

وفيما يأتي إطلالة يسيرة على الوعي الحضاري الذي تمتع به السلف الصالح، والانفتاح المعرفي الواثق من نفسه، الذي يراعي القواعد الشرعية ومقاصدها وروحها ونصوصها وتحويلها إلى واقع اجتماعي وثقافي تتربَّى عليه الأمةُ بأسْرها:

١ - ضبط العلوم وتدوينها: لم ينته القرن الثالث الهجري إلا وقد ضبطت كافة العلوم الشرعية ضبطاً دقيقاً، وكذلك ما يتعلق بها من علوم الآلة، فقد تم وضع قواعد قبول الرواية وفحصها، وما يتعلق بمصطلح الحديث، وما يتبع ذلك من الكلام في الرجال، وقواعد الجرح والتعديل، ونقد المتون المروية بما لَم يوجد مثله في أي أمة من أمم الأرض، ولعل من يطالع موضوعات كتب المصطلح يعلم مدى الوعي الفكري الموجود عند علماء الحديث، وكذلك تَمَّ ضبط مناهج الاستدلال وطرقه وأساليبه وآلاته مأخوذة من اللغة والقرآن وطريقة الرسول ص وأصحابه.

وعند النظر في قواعد وأصول كافة العلوم الإسلامية والعربية، ندرك عمق الإبداع والوعي الفكري والحضاري الموجود في الأمة، هذا الدور لا يمكن أن يقوم به مقلِّد أو متقوقع أو جامدٌ أو غافل.

والحقيقة أن أساس فلسفة الغرب ومنطقه الحديث الذي يفخر به على الإنسانية ومن خلاله استطاع اكتشاف المخترعات الحديثة هو المنهج التجْريبي والاستقراء العلمي، وصورته الإدراك واليقين بأن الكونَ مُؤسس على العلل والأسباب وأنها مطردة، وبناءً على ذلك فإن اكتشاف العلة عن طريق فرض الفروض واختبارها وتزييف الزائف منها ليخلص من خلاله إلى معرفة العلة الحقيقة، فهذا ما يسمى الاستقراء الناقص.

والوصف بالنقْص ليس المراد به الذم، بل هو وصف لحقيقته، فإنه لا يتتبع كل الفروض ولكن يتتبع ما يوصله لاكتشاف العلّة المطردة في بقية الأنواع، فهو ليس بحاجة إلى استقراء تام وهو غير ممكن في الواقع، لهذا سَمَّاه فرنسيس بيكون: استقراء الصبيان.

هذا الاستقراء هو ما سُمِّي في مناهج البحث الحديث المنهج الاستقرائي التجريبي، وهذا المنهج موجود عند علماء السلَف الصالح قبلهم فاستقراء الكلمات العربية جميعًا أمر مستحيل؛ لأن اللغة لا يحيط بها إلا نبي، واستقراء أنواع الكلمات العربية إلى: اسم وفعل وحرف استقراء علمي قائم على الكفاية بالجزء للدلالة على الكل، وهكذا الأمر في طرق الاستدلال الأصولي.

٢ - الأدلة العقلية على القضايا العقدية:إنَّ المتأمل في تعامل القرآن الكريم مع قارئه والناظر فيه، يتضح له أنه يعتمد على إقناعه بالبراهين والآيات والأمثال، وليس على مجرد التلقين كما يلقن الصبيان فقد أصَّل القرآن قبول العقيدة واعتناقها بتأصيله لإثبات وجود الله وربوبيته وألوهيته ، وإثبات صدق الرسول ص وأدلة نبوته، وإثبات صحة الدين، وتأسيس ذلك على العقل، فالقرآن يفيض بالأدلة والبراهين القاطعة على أساسيات الإسلام ومصادره.

وهذا يدل على أن التربية القرآنية قد نَمَّت الوعي والانفتاح العلمي من حيث بناء العقيدة الإسلامية، ونقد المخالفين لها، لهذا نجد أن الله تعالى يُطالب من يعارض عقيدة الإسلام بالبراهين المقنعة؛﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فليس المطلوب من الإنسان الإيمان بعقائد المسلمين دون دليل؛ لأن القرآن تضمن الأدلة بما يكفي المنصف الذي يريد الحق، أما المكابر والمعاند فلا تقنعه رؤية الشمس عيانًا.

ودلالة ما تقدم هي أن هذا الدين مبنيٌّ على الأدلة العقلية المقنعة، وقد نمّى هذا الشعور لدى المؤمن به الثقة واليقين بصحة عقائده ووعده ووعيده، وحث على الدعوة إليه بالطرق البرهانية، لهذا جاءتْ عقائده محررة للعقول والنفوس من الأوهام والخرافات والأساطير والعقائد الفاسدة، والتقليد الأعمى، ومتابعة الآباء والأجداد دون برهان وبينة، ونحو ذلك من القناعات الوهْمِيَّة التي لا دليل عليها.

ولهذا اعتبر الدكتور علي سامي النشار - وهو ممن له عناية بالفلسفة وتاريخها - أن أصول الفقه والتاريخ من أبرز الإبداعات الفلسفية عند المسلمين، بِغَضِّ النظر عن تسمية مثل هذه العلوم فلسفة أو مناقشته فيها، إلا أنه يدل على شعور بعُمْق الإبداع والاختراع والتألُّق فيها ممن درس كتب الفلسفة، وتعرف على مداخلها ومخارجها والمقصود هنا: أن الإبداع الذي تَمَّ في تأسيس العلوم ووضع قواعدها يدل على أرقى درجات الوعي العلمي الذي وجد عند علماء المسلمين الأوائل.

٣ - سعة الاطِّلاع: مَن يقرأ تراجم علماء السلَف الصالح يُدرك التوسُّع الهائل عندهم في تلقِّي العلوم ودراستها، وقد رحلوا في سبيل ذلك وبذلوا الغالي والنفيس قال الأزهري: كان الدارقطني ذكيًّا، إذا ذكر شيءٌ من العلم وجد عنده منه نصيب وافر، لقد حدثني محمد بن طلحة النعالي أنه حضر مع الدارقطني دعوة فجرى ذكر الأكلة فاندفع الدارقطني يورد نوادر الأكلة، حتى قطع أكثر ليلته بذلك. ومحمد بن عبدالباقي الأنصاري المتوفَّى سنة ٥٣٥ هـ لما أسر في أيدي الروم تعلَّم منهم اللغة الرومية والخط الرومي، لهذا قال عن نفسه: ما من علم في عالم الله إلا وقد نظرت فيه وحصَّلْت منه بعضه أو كله.

يقول الصفدي عن شيخ الإسلام ابن تيميَّة: أخبرني المولى علاء الدين علي بن الأموي، وهو من كبار علماء الحساب قال: دخلت يومًا إليه أنا والشمس النفيس صاحب بيت المال ولم يكن في وقته أفضل منه فى الكتابة فأخذ الشيخ تقي الدين يسأله عن الارتفاع، وعما بين الفذلكة واستقرار الجملة من الأبواب،وعن الفذلكة الثانية وخصمها،وعن أعمال الاستحقاق، وعن الختم والتوالي، وعن ما يطلب من العامل، وهو يجيبه عن البعض ويسكت عن البعض، ويسأله عن تعليل ذلك؟ إلى أن وضح له وعلله، قال: فلما خرجنا من عنده قال لي النفيس: والله تعلمت اليوم منه ما لم أكن أعلمه.

كل هذا الاطلاع مع صحة عقيدة، وحسن تدين، وهذا يدل على أن الثقافة والاطلاع لا يلزم منها فساد العقيدة والتخبُّط فيها ويقول أبو البقاء السبكي: أعرف عشرين علماً لم يسألني عنها بالقاهرة أحدٌ وفي كتب التراجم عجائب من سعة الثقافة والاطلاع على العلوم عند علماء المسلمين الأوائل ممن لم يلج في البدع والعقائد الضالة المنحرفة، وقد وجد فيهم من الحرص والشغف بالكتب قراءة وتحصيلاً الشيء العجيب، فقد كانوا يكررون قراءة بعض الكتب المهمة مئات المرات ويقرأون المطولات في المجالس المعدودة قراءة ضبط وتدقيق، ويدرسون الكتب مرات كثيرة، وكذلك الأمر في نسخ الكتب وكتابتها.

هذه بعض الإشارات التي تدل على مدى إبداع علماء السلف، وعُمق علومهم واطلاعهم، والمتأمِّل في علمهم وعملهم يدرك أن أبرز سبب في عُمق علومهم هو انتهاجهم للمنهج الرباني، والسير على درب الأنبياء، وتعظيم حق الله تعالى ورسله وكتبه،فمن جهل معرفة الله تعالى وحقه، فهو بغيره أجهل، حتى لو تزيَّن بلباس الثقافة، ومن عرف الله تعالى ودينه، فإن الله تعالى يعرفه ما سوى ذلك.

لكن قد يقول قائل: إن المخالف في هذه القضية (الانفتاح) سواء الفلاسفة أو المتكلمون أو التنويريون العصرانيون حديثًا لا يخالف في أن الإسلام جاء بالوعي والانفتاح، بل إنه يتخذ من ذلك ذريعة لتبرير واقعه ودعوى أن ما يقوم به يوافق الإسلام، خاصة وأنَّ هذه المرحلة تشهد تخلي كثير من التنويريين عن محاربة الإسلام ومصادره بصورة فاضحة مكشوفة، فقد اتجهوا إلى تبرير أفكارهم وعقائدهم والاستدلال عليها من القرآن والسنة،من خلال تأويل نصوصه، وقراءتها قراءة جديدة لتوافق مذاهبهم وهذا القول صحيح، فلم يعد الخلاف في شعار الإسلام العام، وأنه يحمل كل وعي وخير وفلاح للإنسانية، لكن الشأن في تفسيره وقراءته.

الانفتاح المذْموم (التبعيَّة والانـهزام):

كان جيلُ الصحابة - رضي الله عنهم - هو أفضل جيل تلقى الشريعة الإسلامية وفهمها فهماً صحيحاً، وعمل بها، وجاهد لأجلها، وهو بحقٍّ جيلٌ فريد، وهو جيل القدوة الذي عايش الإسلام قولاً وعملاً، وتصوره كما أراده الله تعالى، وكان لهذا التميز أسباب كثيرة؛ منها: عدم فساد فطرته بالأفكار والمناهج والنظريات الفلسفية، التي هي من خرص العقول، وأوهام التفكير البشري العاجز، وكذلك جودة أفهامهم، وسلامة صدورهم، ونحو ذلك مما حباهم الله تعالى إياه من الصفات والأخلاق.

ولما أنزل القرآن الكريم عليهم فهموه فهماً بعيداً عن العقد الفكرية، والوساوس الشيطانية التي لعبتْ بعقول كثيرٍ من الأمم ممن كان حولهم؛ مثل: الرومان والفرس والهنود وغيرهم، وتمثلوا الشريعة واقعًا عمليًّا في كل جوانبها وأنحائها، ومنها: الجانب الفكري الذي فتح آفاق الإبداع أمامهم على مصراعيه، وفق أوامر الشريعة وتعليماتها.

لهذا لم يحتاجوا إلى أي أمة من الأمم حولهم؛ لشعورهم بكمال دينهم، ولمعرفتهم التامة به، ولعلمهم أنه لا نجاة في كل جوانب الحياة ومنها الفكر إلا بهداية الله تعالى والمتأمل في الوحي الرباني يجد فيه الإجابة الشافية على أعقد المعضلات الفلسفية، والإرادات النفسية الروحانية، والتصورات الفلسفية بين الأمم متفقة في الموضوع، وإن كانتْ مختلفة في الآراء والنتائج التي توصلتْ إليها، وفي الوحي المعصوم إجابات صادقة، موثَّقة المصدر لكل موضوع فكري فلسفي مما تحتاجه الأمة، وتريد معرفة وجْه الحق فيه، ولم تحدث الانحرافات والضلالات عند فئات من المسلمين، إلا بسبب عدم معرفة أحكام الإسلام وعقائده بصورةٍ صحيحة، أو عدم الثقة فيها مع الانبهار والانهزام أمام الغير، والشعور بقدرته على الحل لغوامض الأفكار ودقيقها

ثم ظهر بعد الصحابة رضي الله عنهم والقرون المفضلة أقوامٌ انحرفوا عن الحق، وتنكبوا الصراط المستقيم لأسباب كثيرة؛ منها: الانبهار بما لدى الأمم الأخرى من العلم والفكر والنظر، والانفتاح عليهم للتلقِّي عنهم.

ولكونهم من المسلمين اقتضى ذلك محاولة التوفيق بين ما تلقوه وما يدينون به، فظهر التأويل كأداة فعّالة للجمع والتوفيق، فألغوا دلالات النصوص، وأنزلوها على غير وجهها الصحيح، وقد دعاهم الانفتاح الفكري على أفكار الأمم الأخرى إلى إهمال نصوص الوحيين، والانشغال بعلوم من انفتحوا عليه.

وفيما يأتي إطلالة على هذه الاتجاهات باختصار:

١ - الفلاسفة الإسلاميون:وهم طائفةٌ من المنتسبين للإسلام درسوا الفكر الإغريقي اليوناني، وتشربوه وترجموا كتبه وشرحوها، واعتنقوا نظريات الفلسفة اليونانية، ومن أولئك: الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد، وغيرهم يقول الشهرستاني: قد سلكوا كلهم طريقة أرسطو في جميع ما ذهب إليه وانفرد به، سوى كلمات يسيره.

ومعلوم أن أرسطو وأفلاطون وثنيون، ليس لهم دين رباني، ولا كتاب معصوم، وكل عقائدهم من نتاج العقل فهو رسولهم، وما أوصلهم إليه فهو دينهم وقد كفَّرهم الغزالي في تهافُت الفلاسفة بثلاث مقالات:

القول بقدَم العالَم - إنكار علم الله تعالى بالجُزئيات - إنكار البعْث الجسماني وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية طريقتهم في نصوص الأنبياء فقال: فأهل الوهم والتخيل هم الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن الله وعن اليوم الآخر، وعن الجنة والنار، والملائكة، بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه، لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به، ويتوهمون به أن الله جسم عظيم، وأن الأبدان تُعاد، وأن لهم نعيمًا محسوسًا، والأمر ليس كذلك في نفس الأمر؛ لأن مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بما يتوهمون به، ويتخيلون أن الأمر هكذا

وإن كان هذا كذبًا فهو كذب لمصلحة الجمهور إذا كانت دعوتهم ومصلحتهم لا تمكن إلا بهذه الطريقة، وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل، كالقانون الذي ذكره في رسالته ثم منهم من يقول: إن النبي يعلم الحق، ولكن أظهر خلافه للمصلحة، ومنهم من يقول: إنه كان لا يعلم الحق، ويفضلون نظار الفلاسفة عليه، لهذا فالفارابي، ومبشر بن فاتك، وغيرهم يفضلون الفيلسوف الكامل على النبي وقد كان الفارابي يقول ببقاء الأنفس،وأحيانًا يقول ببقاء الأنفس العالمة دون الجاهلة، وهذا إنكار صريح للبعث واليوم الآخر وهؤلاء الفلاسفة درسوا الفلسفة اليونانية بدقَّة بالغة مع الإعراض عن الوحي، لهذا نجد عامة مُصنفاتهم في الفلسفة.

يقول ابن سينا: وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة فأشكل علي حتى أعدت قراءته أربعين مرة، فحفظته ولا أفهمه، فأيست، ثم وقع لي مجلد لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الحكمة الطبيعية ففتح عليَّ أغراض الكتاب ففرحتُ قال الذهبي عن ابن سينا: وقد كفّره الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال، وكفّر الفارابي، وقد تتلمذ هؤلاء الفلاسفة على النصارى والوثنيين، فالفارابي لقي متّى بن يونس صاحب المنطق، فأخذ عنه،وسار إلى حرَّان، فلزم بها يوحّنا بن جيلان النصراني، وكان الفارابي مغنيًا بارعاً في ضرب العود وبلغ من الإلحاد عندهم أنَّ الكندي كما يقال: هَمَّ بأن يعملَ شيئًا مثل القرآن، فبعد أيام أذعن بالعجز وكل ما تقدم كان بسبب الانفتاح الفكري على الأديان الأخرى وفلسفتها، فكانت النتيجة الإلحاد،وتعلم التنجيم،والموسيقى والمنطق، والتتلمذ على النصارى والوثنيين مع الجهل بالعلوم الشرعية والعربيَّة.

٢ - المتكلمون:وهم طائفة من المسلمين اشتغلوا بمناظرة الفلاسفة وأهل الأديان الأخرى بنفس الطريقة والمنهج، مع الجهل بالشريعة الإسلامية؛ أدَّى بهم إلى التزام لوازم فاسدة، فتكونت عندهم أصول بدعية في أغلب أبواب العقيدة، وكذلك تكونت أدلة بدعية أوصلتهم إلى مخالفة السنة في كثير من المسائل

ولعل من أبرز العوامل التي أثرت في انحراف المتكلمين: الالتقاء بأصحاب الديانات والمذاهب الأخرى، والتأثر بها، ودخول الزنادقة من أبناء البلاد المفتوحة في الإسلام نفاقًا بغية الإفساد قال سليمان البلخي: كان جهم من أهل الكوفة، وكان فصيحاً، ولم يكن له علم، فلقيه قوم من الزنادقة فقالوا له: صف لنا ربك الذي تعبده، فدخل البيت لا يخرج مدة، ثم خرج وقال: هو هذا الهواء مع كل شيء، وفي كل شيء، ولا يخلو منه شيء.

وكان للترجمة أثرٌ بالغ الخطورة في تكوُّن مناهج الكلام، وليست الخطورة في الترجمة ذاتها، بل في موضوعها، وهو ترجمة الكتب الفلسفية، ولاتخاذها مصدرًا للتلقي، ورافق الانفتاح على الفكر اليوناني بحجة النقد والرد والاطلاع الجهل بالكتاب والسنة وعلومها.

يقول ابن تيمية: ومن المعلوم أن المعظمين للفلسفة والكلام، المعتقدين لمضمونهما، هم أبعد الناس عن معرفة الحديث وهذا أمر محسوس،إذا كشفت عن أصولهم وجدتهم من أجهل الناس بأقواله ص وأحواله، وبواطن أموره وظواهرها، حتى لتجد كثيراً من العامة أعلم بذلك منهم، وتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول ص وما لم يقله، وقد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه، وحديث مكذوب موضوع عليه حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية، فيقول: لا نسلم صحة الحديث وربما قال: لقوله ـ ص- كذا، وتكون آية من كتاب الله، وقد بلغنا من ذلك العجائب، وما لم يبلغنا أكثر، وحدثني ثقة أنه تولى مدرسة مشهد الحسين بمصر بعض أئمة المتكلمين رجلٌ يسمى شمس الدين الأصبهاني شيخ الإيكي فأعطوه جزءًا من الربعة، فقرأ: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * المص ﴾ ، حتى قيل له: ألف لام ميم صاد، ولا غرابة أن يقول الغزالي عن نفسه: أنا مزجى البضاعة في الحديث، وهذا حالهم.

وقد ذم العلماءُ علم الكلام وأهله ذمًّا شديدًا، لا لكونه استعمل مصطلحات جديدة، بل لكون معانيه باطلة تتضمَّن ما يناقض الوحي وللازدواج المقيت الذي فرَضَه المتكلمون بين الوحي والعقل، فقد اتسموا بالتناقض في الأقوال والآراء، وكثرة الجدل واتِّباع المتشابه، والتعسُّف في التأويل والغلو في تعظيم العقل واعتباره مصدرًا للتلقِّي، وقلة تعظيم النصوص الشرعية، وكثرة الشك والتوقف والاضطراب والحيرة، مما دعا كثيرًا من كبار المتكلمين للرجوع عن مناهجهم الكلامية، وكثرة التفرُّق والاختلاف بينهم.

كل هذه السمات وغيرها عند المتكلمين إنما كانتْ بسبب البعد عن المنهج الشرعي والجهل العظيم بمفاهيم القرآن والسنة، والانفتاح على أفكار ومناهج الضالين،وهي من الشبهات المضلة،وبآثار الانفتاح المذموم ندرك ضرره وخطورته وهذا يدل على أن فكرة الانفتاح فكرة قديمة تظهر بين الحين والآخر، إما للجهل بالدين وتعظيم الغير والانهزام ، أو للإعجاب بالنفس ومحاولة اكتشاف المجهول، أو لأي داعٍ من الدواعي الأخرى وقد برزتْ آثارها فيهم واضحة لمن قرأ تاريخهم ومقالاتهم وما آلت إليه مناهجهم من الضلال والبُعد عن الحقِّ.

ومن مقالاتهم:

♦ تقديم العقل على النقل، واعتباره المصدر الأول لتلقى العقيدة.

♦ عدم قبول خبر الآحاد في العقيدة، والقول بأن الدلالات اللفظية لا تفيد اليقين إلا بتجاوز عقبات؛ مثل: نفي الاشتراك والمجاز والمعارض العقلي ونحو ذلك، وبهذا يكونون قد ردوا المتواتر والآحاد في الاستدلال على العقيدة.

♦ تأويل أسماء الله تعالى وصفاته أو بعضها.

♦ القول بنفي القدر أو القول بالجبر في باب القضاء والقدر.

♦ اعتبار الإيمان تصديقًا قلبيًّا دون قول اللسان وعمل القلب والجوارح.

♦ قول المعتزلة بوجوب الأصلح على الله تعالى، وأن الوجوب لا يكون إلا بالعقل استقلالاً.

♦ حصر التوحيد في الربوبية والصفات، وإهمال توحيد الألوهية، وبناء على ذلك حصروا الشرك في الربوبية دون الألوهية، وبرروا الشركيات العملية بكونها لا تقدح في التوحيد أي الربوبية.

♦ والقول بعدم التفريق بين النبي الصادق والمدعي الكاذب إلا بالمعجزة، والقول بعدم الفرق بين المعجزة والسحر وغيره من الخوارق إلا بدعوى النبوة في الأول دون الثاني ولو ادعاها الثاني لسلب هذه الخوارق، ولم تحدث له.

ونحو ذلك من الأقوال المنْحرفة عن السُّنَّة النبويَّة.

٣ - التنوير والعصرانية:التنوير والعصرنة يُراد بها تلك الحركة الفكرية المنفتحة على الحضارة الغربية وفكرها مما أدَّى إلى تأويل نُصُوص الوحي ليوافق متطلبات العصر وحاجاته، وهناك تشابه بين الفلاسفة والمتكلمين قديماً، والتنوير والعصرانيين حديثًا في الانفتاح على الغير، (الفلسفة اليونانية قديماً، أو الحضارة الغربية حديثًا)، وتأويل النصوص، ولي أعناقها لتوافق الآراء والأفكار الجديدة الحادثة بسبب هذا الانفتاح.

والفكر العصراني حركة واسعة نشطتْ داخل الأديان الكبرى ومبنية على الاعتقاد بأن التقدُّم العلمي والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدِّينية التقليدية على ضوء المفاهيم المعاصرة، أو مفاهيم العقل عموماً، ومُحاولة تأويل النصوص لتوافق هذا القول أو ذاك وجذور هذا الفكر تعود إلى الفلاسفة والمتكلِّمين كالمعتزلة، ودعاة قديم العقل على النص عموماً.

وهم أمشاج فكريَّة مختلطة: منهم العلماني اللا ديني المتستر بالدِّين، ومنهم الإسلامي المنحرف في طريقة الاستدلال ومنْهجه وبدأتْ حركه التنوير والعصرنة منذ بوادر النهضة في العالم العربي والإسلامي على يد المبتعثين الأوائل، ثم تطوَّر منهج التنوير، واختلف عن حاله الأول إلى أوضاع مأساوية مناقضة للإسلام أصوله وجذوره.

يقول الأستاذ محمد قطب: نحسب الأجيال الأولى من التنويريين، رفاعة الطهطاوي وأمثاله كانوا مخلصين، والله أعلم بهم، لَم يكن في قلوبهم ذلك الحقد الأسود على الإسلام، الذي اكتسبه المتأخرون منهم الذين يتحدثون عن المسلمين في شماتة ظاهرة لا حياء فيها، ويتحدثون عن الإسلام كأنه العدو الأكبر الذي لا بد من إزالته من الأرض، لكن الإخلاص وحده لا يغني إذا كان المنهج غير صحيح، لقد رأوا واقع أمتهم السيئ، وكانوا راغبين حقًّا في إنقاذ أُمَّتهم الإسلامية على وجْه التحديد بصفتها تلك، لا بأي صفة سواها، وظنوا أن السبيل الأوحد للإنقاذ هو تقليد أوروبا، فكان خطؤهم في طريقة التفكير، وليس فساد في الضمير، وكان الخطأ ناشئًا من الهزيمة الرُّوحية التي استولتْ على أرواحهم تجاه الغرب والحضارة الغربية، ولَم يكونوا من أولى العزْم، لذلك لفتهم الدوامة، وذهبت بهم كل مذهب فلم يقووا على مقارنتها، وتحْديد مسارهم الذاتي في داخلها، أمَّا المحدثون فلهم شأن آخر، إنهم ليسوا حريصين على إنقاذ أمتهم الإسلامية بصفتها تلك.

بل هم على العكس من ذلك حريصون على إبعاد هذه الأمة عن الإسلام، باعتبار أن هذا العلاج الذي لا علاج غيره لما أصاب الأمة من الأمراض، فهم سابحون مع تيار الغرب برغبة ، ويعلمون على وجه التحديد ماذا يريدون؟.

لقد تبنى التنويريون كافة الإيديولوجيات الغربية بكل أطيافها فظهر فيهم: الشيوعي، والليبرالي، والحداثي، ونشروا هذه المناهج في العالَم الإسلامي، وتعاوَنوا مع الامبرياليين في بناء المؤَسَّسات التعليمية والفكرية على نظريات غربية ملحدة في كافة المجالات الفلسفية والأدبية والنفسية والاجتماعية، حتى ظهر مَن يدعو لنظرية الارتقاء والتطور - مذهب دارون - التي حاربها علماء الأحياء الغربيون المنصفون، وغطى هؤلاء كافة وسائل الإعلام كالصحافة والتلفاز ودور النشر، والمحاضن التربوية كالمدارس والمناهج والجامعات والمؤسسات العلمية المستقلة، والمؤسسات الفكرية والثقافة الرسمية وغير الرسمية، المحلية والإقليمية والدولية.

ولعلي أمثل لنموذج من هؤلاء، وهو طه حسين؛ حيث يقول: إن سبيل النهضة واضحة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهي أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم؛ لنكون لهم أنداداً،ولهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يُعاب، وهذا المؤصل لمنْهج الثقافة والحضارة المستقيمة حسب زعمه يعتبر مِنْ رُواد النهضة ورموزها المُمَيزين.

ولعل أبرز إنجازات حركة التنوير الكبرى كما يريدون هي: تحرير المرأة - حرية الفِكْر - الحرية السياسيَّة ونتائج هذه الإنجازات هي:

١ - إفساد المرأة وخروجها عن الفطرة والطبيعة الإنسانية في كينونتها.

٢ - انتشار الكفر عن طريق تبنِّي المذاهب الفكرية المعاصرة باسم حرية الفكر، وإعلان الإلحاد، ومُعارضة رب العالمين في خبره وأمره.

٣ ـ الحكم بغير ما أنزل الله، وتشريع الأهواء البشريَّة للحكم بين الناس، العمالة للغرب الكافر، ومحاصرة المسلمين والضَّغْط عليهم، وحماية الغرب الكافر عن طريق محاربة الإعداد للخروج من المأزق الحضاري والعسكري المستقل للأمة، والتبعية الحمقاء للغرب في كل شيء وإن صغر.

وإذا أردنا أن نتصور مناقَضة دعاة التنوير لأصول الدين وقواعده، فيُمْكن أن نأخذَ نماذج لأقوالهم، ومن ذلك:

♦ يقول حسن حنفي: يُمكن للمسلم المعاصر أن ينكرَ كل الجانب الغيبي في الدِّين، ويكون مسلمًا حقًّا في سُلُوكه.

ومن أبرز الأمثلة على التبعيَّة الفكرية في الفكر العربي المعاصر : الاتِّجاه الحداثي الجديد في التعامُل مع النَّصِّ الشرعي، يقول محمد أركون: فالقرآن نصٌّ مفتوح على جميع المعاني، ولا يُمكن لأيِّ تفسير أو تأويل أن يغلقه أو يستنفذه بشكلٍ نهائي.

ويعتمد الفكرُ الحداثي الجديد على النصِّ القرآني كتاريخ ، وأن المعاني المعروفة في كتب التفسير في النصوص لَم يعد لها مكان في العصر الحديث لهذا فلا بُدَّ من الاعتماد على قراءة جديدة للنص، يقول أركون أيضاً: إن القراءة التي أحلم بها هي قراءة حرة إلى درجة التشرُّد والتسَكُّع في كل الاتجاهات، إنها قراءة تجد فيها كلَّ ذات بشريَّة نفسها.

وبناء على هذا فلا توجد حقيقةٌ مُطلقة للمعاني القرآنية، بل هي أمورٌ نسبيَّة،وفي ذلك يقول: إنَّ القول أن هناك حقيقة إسلامية مثالية وجوهرية مستمرَّة على مدار التاريخ وحتى اليوم ليس إلا وهْماً أُسْطوريًّا، لا علاقة له بالحقيقة والواقع وقد قام هذا الاتِّجاه بعمليَّة تأويل واسعة للمحكمات الشرعية يماثل ما قام به الباطنيون القدامى، وهذه التأويلات الجديدة هي تطوُّر جديد في الفكر العربي العلماني المعاصر يعتمد على هدْم الأصْل بالأصل نفسه

ومِنْ نماذج المدْرسة العصرانية - الداعية للانفتاح على الواقع - مجموعة من المسلمين تأثروا بالفكر الغربي،وأرادوا تأويل الحقائق الشرعية لتوافق الواقع، ووقفوا لذلك موقفًا سلبيًّا من النُّصوص الشرعية، ومن السلف الصالح، يقول فهمي هويدي في مقال له بعنوان: وثنيون هم عبدة النصوص، وثنية جديدة وذلك أن الوثنية ليست عبادة الأصنام فهذه صيغة الزمن القديم، ولكن وثنية هذه الأزمان صارت تتمثل في عبادة القوالب والرموز، في عبادة النصوص والطقوس ويقول حسن الترابي - عن فَهم السلف -: وكل التراث الفكري الذي خلَّفه السلف الصالح في أمور الدين هو تراث لا يلتزم به، وإنما يستأنس به.

هذه نماذج تدل على أن الانفتاح إذا فقد ضوابطه يوصل إلى الانحرافات الفكرية، وأن الانفتاح أخذ مفاهيم جديدة زائدة على مجرد الاطلاع ومعرفة ما لدى الآخرين من الأفكار والآراء.

حرب الأفكار:

إننا نعيش اليوم في عالم متسع الآفاق والأرجاء، يحوي مجموعة من البشر مختلفين في عقائدهم وأهوائهم وعاداتهم وأخلاقهم، وأفكارهم، وإذا كان العالم قديماً وحديثاً يخشى من الحروب المدمرة التي تقضي على الأخضر واليابس، فهناك حرب أشد خطراً علينا، هي حرب الأفكار الغربيَّة التي شنَّها أعداء الإسلام، فتوالت القذائف الفكريَّة القاتلة، بدلاً من القذائف الناريَّة التي تكلِّفهم أموالاً وخسائر عظيمة، بل وتُحدِث صحوة إسلاميَّة وغضبًا من الشعوب عليهم، فشرعت القوى العالميَّة الغربيَّة في قذف العالم كله بقنبلة فكريَّة قنبلة النظام العالمي الواحد، والفكر العالمي الواحد، والثقافة العالميَّة الواحدة.

وكانت بهذه القنبلة شذرات محرقة من التيارات العلمانيَّة والوضعيَّة وغيرها،فنتج عن ذلك سرطان فكري عجز العالم عن التصدي له؛ لأن الغزو الفكري قلَّما يجد مقاومة؛ لأنه يخترق العقول ويتحكَّم في العقائد والأخلاق، ويستهوي طائفة من الناس دون خيار منهم، والدليل على ذلك ما تكلَّم به بني جلدتنا، حيث قال: إنه إذا كانت الرابطة الشرقيَّة سخافة، فإن الرابطة الدينيَّة وقاحة، والرابطة الحقيقيَّة هي رابطتنا بأوروبَّا، فهي الرابطة الطبيعيَّة لنا، كلما زادت معرفتي بالشرق، زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عنِّي، وكلما زادت معرفتي بأوروبَّا، زاد حبِّي لها وتعلُّقي بها، وزاد شعوري بأنها منِّي وأنا منها، فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب، وهذا هو مذهبي الذي أعمل به طول حياتي سرًّا وجهرًا!

وبكل صراحة أقول: لقد نجح النظام العالمي في حربه الفكريَّة بعد فشله في حربه العسكريَّة؛ لأنه غزانا في عُقْر دارنا حتى في أماكن نومنا، إنه احتلال القلوب والعقول، الذي يهدد الأجيال الحاضرة والقادمة، ويهدد الشباب والشابَّات والكهول والعفيفات والآباء والأمهات؛ لأن هذا الغزو الفكري يركِّز في حربه على الدين واللغة والأخلاق.

والعدو يعلم أنه مهما استعرض قوته الحربيَّة لن يستطيع أن يدفع هؤلاء الثلاثة، إلا ببث السموم الفكريَّة السرطانيَّة في عقول الشباب، والكبار، عن طريق شيوع مجموعة من الأفكار التي في ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، وظاهرها يعني التقدُّم والرُّقي والحضارة والتجديد، وباطنها العلمانيَّة والماسونيَّة والعَوْلَمة والانحلال والتبعيَّة، وانفصال الدين عن الدولة، بل القضاء على الدين وإعدامه في ميدان عام بأيدي بعض المسلمين أو على الأقل جعله يتيمًا بين أهله، وللأسف نجحوا في ذلك، وإن كان نجاحهم مؤقتًا وغير مستمر، والسبب في نجاحهم:

١- حالة الضَّعف الشديد التي يعيشها العالم الإسلامي بسبب الفرقة والتنازع، مع سيطرة كاملة للغرب .

٢- التحكم في الإعلام وبث أفكارهم عَبْر القنوات الفضائيَّة والأقمار الصناعيَّة، وشبكة الإنترنت الدوليَّة.

٣- تعزيز موقف الغرب في حربهم الفكريَّة للإسلام من فئة لا خلاق لها، تحاول غسل مخ الأجيال القادمة، بتعظيم شأن الغرب، ووضع إسلام زائف لا صلة له بإسلام القرآن والسُّنَّة إسلام عصري يعتني بالقشور فقط.

٤- ضَعف مستوي التعليم في العالم الإسلامي، والتحكُّم في مناهجه بوضع مناهج تهدم القِيَم والأخلاق في نفوس الناشئة، تصل بها إلى احتقار هذه القِيَم والاستهزاء بها.

٥- غياب الدور الأُسري في التوجيه التربوي والثقافي للأبناء، والاعتماد على ما يُطرح عليهم في الوسائل التعليميَّة.

٦- غياب الدور الإعلامي في توجيه الأمة الإسلامية، وتحذيرها مما يُحاك لها من أفكار هدَّامة.

وسائل مقاومة هذه الحرب الفكريَّة:

١-أن تهتم المنظمات الإسلاميَّة بتكوين لجنة من المفكِّرين المسلمين لرصد الأفكار ودراستها دراسة علميَّة موضوعيَّة، واستخلاص الزائف منها، وحماية النشء من أعضاء الأمة الإسلاميَّة من خطرها؛ لأن الفكر لا يُحارب إلا بفكر مثله.

٢- امتلاك وسائل البث المباشر: كالأقمار الصناعيَّة والمحطَّات الأرضيَّة، وترشيدها وَفْق منهج إسلامي.

٣- ترشيد العمليَّة التعليميَّة والثقافيَّة في حياتنا، وتنقيح المناهج من الأفكار الدخيلة السائدة في العالم الإسلامي.

٤- تقوية الجوانب السياسيَّة والاقتصاديَّة والفكريَّة في حياتنا؛ لأن الأقوى يؤثِّر دائماً في الضعيف.

٥- عدم استهلاك الأوقات بالشُّبهات التي يحدثها الغرب من وقت لآخر؛ لشغل المفكرين المسلمين والعلماء عن القضايا الأساسيَّة.

٦- على ولاة المسلمين صدُّ هذه الأفكار عن المسلمين وبلادهم، وأخذ التدابير اللازمة لحماية الأمة .

٧- تناسي الخلاف بيننا، خصوصاً في الأمور الفرعيَّة، واستخدام الحوار الهادئ لحلِّ قضايانا.

٨- الشعور بالكيان الإسلامي، والحد من نظرة الإجلال التي يَنظر بها العالم إلى الغرب؛ فهم بنوا حضارتهم على أكتافنا، وتفوقوا علينا عندما ظللنا نبكي على أطلال أمجادنا.

أهمية الأمن الفكري:

هناك نابتة من أبناءنا نبتت على غير هدى بسبب ما تلبست به أفكارهم من شوائب، وسارت به عقولهم لما فيه الضرر لهم ولغيرهم، فوقعوا صرعى بيد غيرهم ممن يتمنون الدمار والخراب لهذه البلاد، ويحرصون على نزع فتيل الفتن لينتشر الظلم ويضيع الأمان، وهذه الفتنة التي حلت بديارنا تحتاج للوقوف في وجهها؛ ليمكن معالجتها بحكمة وتعقُّل وحزم، والأخذ بأيدي شبابنا إلى طريق الجادة، قبل أن تتخطفهم الأيدي الآثمة التي تمتد في الخفاء لتأخذهم للهاوية.

وعلينا تبصير شباب هذه البلاد وغيرهم بما يدور حولهم من الفتن المهلكة التي باتت تأكل الحرث والنسل، والناظر في أحوال البلاد من حولنا يرى العجب من قتل وتدمير وتشريد وظلم واعتداءات، بسبب غياب الوعي الفكري لدى من يقع في مثل هذه الجرائم العظيمة، وتعلقهم بشبهات زرعها في عقولهم أصحاب المطامع السيئة ويكفي المسلم فخراً أنه يعيش آمنًا مطمئنًا على نفسه وأهله وأولاده وماله، وهذه النعمة لا يمكن الحصول عليها أبدًا في أي بلد من بلاد العالم أجمع .

الشباب هم عماد الأمة، وحصنها المنيع بعد الله تعالى في حفظ البلاد من التيارات الهدَّامة، والشعارات الكاذبة، لذلك فهم يحتاجون إلى فهم الأمور بتبصر وتعقل؛ عن طريق العلماء العاملين الذين يوضحون لهم الطريق، ويحذرونهم من مغبة الانسياق وراء الهوى والحماسة غير المنضبطة بالشرع الحنيف وما يؤكد أهمية الأمن الفكري هو حماية النشء من الوقوع فيما وقع فيه من سبقهم من الشباب، ويكون ذلك بالتوجيه الهادف عن طريق المؤسسات الدينية والاجتماعية في المجتمع، والتي تقوم بدور كبير في وقاية المجتمع ومن أهم المؤسسات التي تقوم بهذا الشأن، ولها دور وقائي في معالجة مثل هذا الفكر المسجد، والمدرسة، والأندية الثقافية والرياضية، فالخدمات التي تقوم بها مثل هذه الجهات هامة وضرورية كالوعظ والإرشاد، والتوجيه النفسي والسلوكي والاجتماعي والتربوي والتعليمي، والنشاط الرياضي والثقافي، واستغلال أوقات الفراغ عند الشباب وشغلها بما يفيد من أنشطة نافعة للفرد والمجتمع، وهذا لا يكون له تأثير إلا إذا كان القائمين على هذه المؤسسات لهم قدرة وكفاءة للتصدي لمثل هذه الأفكار وتوجيهها التوجيه السليم والذي يعود بالفائدة على الشباب والمجتمع فالوسائل المتاحة من هذه الجهات وغيرها، وأيضًا وسائل الإعلام المختلفة التي تخاطب هذه الفئة الهامة في المجتمع؛ من أجل حفظ فكرهم من الانحراف .

الإعلام وتحقيق الأمن للمجتمع :

هذا العصر يمتاز بأنه عصر الإعلام وتدفق المعلومات وتعدد وسائل الاتصال وتطورها مما يجعل التحكم فيما تبثه من مواد إعلامية وفكرية وثقافية..إلخ أمراً بالغ التعقيد والصعوبة والإعلام أضحى عالماً له فنونه وصناعته وأسراره وتعقيداته يتوارى خلفها مصالح وهيئات ومنظمات لاتعلم أسرارها وخفاياها إلا من قبل ذوي الشأن وأهل الاختصاص وهو سلاح ذو حدين إن أحسنت استخدامه وصلح القائمين عليه وصلحت نواياهم واستقامت أهدافهم أصبح عاملاً مهماً من عوامل صلاح الفرد والمجتمع بل والأمة يتحدث عن قضاياها ويبث همومها ويحافظ على ثوابتها وينشر فكرها السليم ويغرس قيمها وأعرافها الفاضلة وأخلاقها الحسنة وباختصار فهو في هذه الصورة يحقق مصالح الدين والدنيا والعكس بالعكس

فالإعلام بحكم تنوع شبكاته ووسائله وقنواته وآلياته دخل كل بيت يسمعه ويشاهده غالب الناس إن لم يكن كلهم حتى صعب لدى الكثير التميز بين غثه وسمينه وصالحه وطالحه ونافعة وضاره فهو من أهم الوسائل المؤثرة في تكوين ثقافة المجتمع والأمة ومحاكاة واقعها وبيان توجهها الفكري والاجتماعي والديني والثقافي وبقدر صلاحه وصدقه وحسن مقصده يكون ذا فائدة وصلاح وأداة نفع وتوجيه لاسيما لدى الشباب خاصة في هذا الوقت فلابد إذاً من تأمين فكر الشباب ضد أي شبهة برسم إستراتيجية سديدة سليمة تنبثق من هدي الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ويحفظ على الناس ضرورياتهم الخمس التي جاءت الشريعة بحفظها (الدين والنفس والمال والعقل والنسل)والإعلام سنداً قوياً للمؤسسات التربوية المختلفة في الدولة يتأزر ويتعاون معها في الحفاظ على ثوابت هذه الدولة حتى لايحدث ازدواج في العمل أو انفصام فيه فينتج الخلل.

وتتعدد التوجهات والولاءات إلى الحد الذي يصل إلى الإضرار بالفرد والمجتمع والدولة والحاجة ملحة لوضع ضوابط حازمة للمطبوعات والمطويات والمنشورات التي تطبع وتتداول ومراجعتها مراجعة فكرية دقيقة والتأكد من مدى سلامتها عقدياً ودينياً وثقافياً وتتناسب مع عادات المجتمع وتقاليده الصحيحة وعدم تعارضها مع ثوابت الدين وقيم الوطن .

المناعة الفكرية:

عندما يصاب أحدنا بأي نوع من المرض أو الوباء يسرع إلى الطبيب ويتعهد نفسه بأخذ الحيطة والحذر والابتعاد عن مكامن الوباء والالتزام بالإجراءات والوصايا الطبية التي يقدمها له أصحاب الاختصاص ولا ينفك يتناول العقاقير الطبية والتطعيمات الضرورية اللازمة لمثل حالته. ولا غرابة في هذا الفعل فإن الصحة من المهمات لدى الإنسان ولها شأن كبير عنده ويبذل من أجلها كل غال ونفيس ولكن هل فعلا أن الصحة الجسدية أو العضوية تأتي في أول الأولويات وفي مقدمة الإهتمامات لدى الإنسان؟؟ لا عجب أن يهتم الإنسان بحياته وهذه من الضروريات القصوى والاهتمامات العظمى وقد أمرنا بها ودللنا عليها فطرة وشرعاً وعقلاً لكن إذا كان البدن في أوج صحته لكن سيد الأعضاء قلبه ومدير الجسد عقله يغطان في نوم عميق وقد نهشتهما الأمراض وعميا عن إدراك ما يراد منهما وأثرا على فكر صاحبيهما؛ فهل نقول إن هذا الفرد في أتم صحته وأقصى درجات نشاطه؟ لاشك أن صحة العقل والفكر هي الغاية النهائية التي لابد للإنسان أن يسعى إليها ويبذل من أجلها كل شي، ويبتعد كل البعد عن ما يعكر صفو العقل وما يكدر نقاءه الذهني، وما يشوب مرآته من أوساخ الأفكار ورديء المعتقدات وسيء الخواطر ولهذا كانت غالب آيات القران الكريم تخاطب وتنادي ذلك العضو الأهم في الجسد، وتحث وظائفه المتعددة على إدراك الفهم الصحيح وتأمل الحياة من منظور آخر، والبعد عن سفليات الأمور

وعن التفكير السطحي المجرد الغارق في أوحال الماديات، فكانت كثيرا من آيات القران تختم بـ (أفلا يتفكرون - يتدبرون – يعقلون - يتذكرون ... الخ، بل إن الله - عز وجل - أمرنا أن ننظر ونتأمل في حال الأرض ومن عليها، فقال} :قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ] .

الباب السادس
التفكير والتعليم

إسهام المعلم في القيم الفكرية:

يقوم المعلِّم بغرس القيم الفكريَّة في الطلاب، وهو القدوة في ذلك؛ ومن هذه القيم:

قيمة حب العلم: من حُسْن التأديب والتربية أن يَغرِس المعلمُ في الطلاب حبَّ التعلم والحرص على طلب العلم، وأن يُبيِّن لهم كيف جعل الله تعالى أول آيات القرآن الكريم؛قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ والقرآن الكريم اشتمَل على ما يُقارِب ٧٥٠ سبعمائة وخمسين آية تَحُثُّ وتدعو إلى إعمال الفِكْر في هذا الكون وما فيه من مخلوقات مسخَّرة للإنسان ويؤدي العلم إلى ثمرة وهي معرفة الله، ويكفِّر الذنوب والخطايا ويُطهِّر النفسَ؛ لأنه عبادة جليلة يحظى بها المسلم بالأجر العظيم ومن الحسنات التي يُكفِّر الله بها السيئات؛ ومن ثمرة العلم تعميق الإيمان بالله وكتابه ورسوله، وبالقدر خيره وشره واليوم الآخر،

وحتى يؤتي ثمرتَه يكون بشروط عدة:

١- الإخلاص لله والطلب بعلمه رضا الله - سبحانه وتعالى.

٢- تحديد الهدف من العلم.

٣- التلقِّي عن أهل العلم الموثوقِ بهم.

٤- تحصيل العلم بالتدرج؛ قال الله تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ .

٥- التهيئة لأسباب الفَهْم .

٦- إدراك الواقع:

إن العلم النافع يَعصِم صاحبه بتوفيق الله من الانحراف والضلال، ويحميه من الوقوع في البدع والمُحدَثات، والشركيَّات والضلالات، ويحمله على تعظيم الشعائر والحُرمات.

قيمة التفكير: لقد حثَّ الإسلام على التفكير، وأعلى شأنه في كتاب الله وسنة نبيه - ص- وتحقيق الأمن الفكري بالتفكير السليم، المبني على أسس عِلمية في كل ما يحدق بالنفس والمجتمع والأمة الإسلامية.

حرية التفكير: إن حرية التفكير هي التي تُمكِّن المعلِّم من الإبداع في عمله؛ إذ تقتضي ألاَّ يكونَ المعلِّم خاضعاً لأيِّ مؤثِّر خارجي قد يصرفه عن الهدف الرئيس لوظيفته في الحياة،والمتمثِّل في إحداث تغيير مرغوب في سلوك الطلاب، وفي طرائق تفكيرهم، ومن أكثر المؤثرات سلباً على فكر المعلِّم وأدائه الأنظمةُ السياسية المستبدَّة، التي تحجر على عقل المعلِّم بوسائل الترغيب أو الترهيب؛ لكيلا يعملَ على لفتِ أنظار طلاَّبه إلى ممارسات الظَّلَمة؛ لذلك كان المعلِّمون المبدعون من السلف الصالح لا ينحنون أبداً أمام جبروت الطغاة، وكانوا يُصِرُّون على أن يجهروا بآرائهم رغم القهر والسجن والتعذيب الذي يتعرضون له.

الاهتمام بالتفكير الناقد البنَّاء من قِبَل المعلِّمين:

فالاهتمام بالعقول وإثراءها بالمفيد، واستثارتها للتفكير والتحقق يتطلب التناولَ العلمي في النظر إلى الأمور، ومن عيوب التربية والتعليم في المدارس أسلوبُ التلقين، وحشو مواد الدراسة فيها يماثل ما عليه الحال في وسائل الإعلام، بما يجمِّد الفكرَ ويسطِّحه بأفكار وبرامج تدعم التخلف والانحلال والسطحية بطرق مباشرة أو غير مباشرة.

التخلص من التفكير الخاطئ، وسوء الفهم.

رعاية الفِكر في مواجهة الفِكر:

استطاع الطب النفسيُّ منذ القِدَم أن يَحتوي الأشخاص الذين يُعانون اضطِرابات نفسية، وانحرافات سلوكيَّة، قد تؤذي الشخص نفسه،أو تؤذي من حوله؛ فهذا أبو البركات هبة الله بن علي بن مَلكا، المولود بملكا بالعراق، وهو الطبيب الذكي العالم بعلوم الأوائل ذائع الخبر يذكر له ابن أبي أصيبعة نادرة في المداواة بالإيهام مع أحد المرضى النفسيين،فيقول:إن مريضًا ببغداد أصابه مرض الماليخوليا ؛ حيث اعتقد أن على رأسه وعاء لا يُفارقه، فكان يمشي برفق متجنباً الأسقف القصيرة، ولا يجعل أحداً يدنو منه حتى لا يَميل الوعاء فيقع عن رأسه، وطلب الرجل العلاج حتى وصل به الأمر إلى ابن ملكا الذي فكَّر في علاجه بالأمور الوهمية، فقال لأهله: إذا كنتُ في الدار فأْتوني به، ثم أمر أحدَ غِلمانه أن إذا دخل عليه المريض، وبدأ في الكلام معه، وأشار للغلام بعلامة بينهما، أن يُسارع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض كأنه يريد كسر الوعاء الذي يزعم أنه على رأسه، وأوصى غلامًا آخر وكان قد أعد معه وعاء في أعلى السطح أنه متى ما رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأس المريض أن يرمي الوعاء الذي عنده بسرعة إلى الأرض فلما حضر المريض، وبدأ في الكلام معه، أشار إلى الغلام الذي عنده فأقبل إليه، وقال: لا بدَّ لي أن أكسر هذا الوعاء، وأريحك منه، ثم أدار تلك الخشبة التي معه، وضرب بها فوق رأسه، وعند ذلك رمى الغلام الآخر وعاءً مِن أعلى السطح، فكانت له ضجة عظيمة، وتكسر قطعاً كثيرة، فلما رأى المريض ما فعل به، ورأى الوعاء المُنكسِر، لم يشكَّ أنه هو الذي كان على رأسه بزعمه، وأثر فيه الوهم أثرًا برئ من علَّته تلك فالفِكر لا يُعالج إلا بالفكر.

إعداد المعلم في الفكر التربوي الإسلامي:

يحتل العظماء مكانة مرموقة في مجتمعاتهم لما يبذلونه من عطاء وتضحية من اجل رفعة أوطانهم وتقدمها، فلم تقتصر قائمة العظماء والمبجلين على الحكام والأدباء المشهورين، بل احتوت على فئات عديدة، ومن هذه الفئات المعلم الذي كاد أن يبجل في جميع الثقافات فالمعلم يلعب دوراً كبيراً في بناء الحضارات كأحد العوامل المؤثرة في العملية التربوية، إذ يتفاعل معه المتعلم ويكتسب عن طريق هذا التفاعل الخبرات والمعارف والاتجاهات والقيم ولقد شغلت قضية إعداد المعلم وتدريبه مساحة كبيرة من الاهتمام من قبل أهل التربية انطلاقا من دوره الهام في تنفيذ السياسات التعليمية في جميع الفلسفات وعلى وجه الخصوص في الفكر التربوي الإسلامي، فقد كان فى الفكر القديم كاهناً و راهباً وساحراً وفيلسوفا ثم في الفكر الإسلامي بانياً للحضارة وهادياً للبشر ومنيراً للطريق ولأن قيمة الإيمان تتحدد إلى حد كبير بقيمة العمل الذي يقوم به، ولما كان المعلم له قيمة عظيمة في التراث الفقهي والتربوي، احتل موقعاً متقدماً من حيث التقدير والتبجيل، مما جعل قضية تكوينه تتأثر باهتمام علماء التربية والفقهاء فالمعلم ليس خازن للعلم يغترف منه التلاميذ المعارف والمعلومات، لكنه نموذج وقدوة ولأن المعلم أمين على ما يحمل من علم كان لا بد له من صياغة وأن يحافظ على كرامته ووقاره، ولا يبتذل نفسه رخيصة، فذلك من شأنه أن يحفظ هيبته ومكانته بين الناس. لذا كان للعالم المسلم بدر الدين بن جماعة رأيه السديد في أن المعلم هو العامل الأساسي في نجاح العملية التعليمية وأنه من أهم عناصر التعليم، حيث يرى أن التعليم لا يتغير بغير المعلم وأن عناصر التعليم تفقد أهميتها إذا لم يتوفر المعلم الصالح الذي ينفث فيها من روحه فتصبح ذات أثر وقيمة ويستشهد على أهمية المعلم في حدوث تعلم جيد بقوله: قيل لأبي حنيفة رحمه الله:في المسجد حلقة ينظرون في الفقه فقال: ألهم رأس ؟ قالوا: لا ، قال: لا يفقه هؤلاء أبداً.

الحاجة لوجود معلم ينهج الفكر التربوي والإسلامي:

إن الناظر في حال مجتمعاتنا الإسلامية والعربية يلمح بوضوح أنواعاً من الخلل قد انتظمت كافة مناحي الحياة وشرائح الأمة، فالخلل واضح والقصور فاضح سواء كان على الأداء السياسي،أم الاجتماعي وكذلك الاقتصادي والتعليمي، حيث تدني مستوي التعليم الذي يرجع إلى ضعف القائمين على التعليم بشكل عام والمعلم بشكل خاص فدور المعلم خطير فهو حلقة الوصل بين المتعلم والكتاب ، ويجب أن يكون قدوة ، مربي ، مدرب ،موجه مرشد، فالتعليم واحد فى مؤسسات مجتمعاتنا التي أصابها الخلل نتيجة الأفكار التي يحملها المعلمون وأيضا من الأسباب التي أدت إلى وجود أزمة في العملية التعليمية عدم تأهب المعلمين للتدريس وغياب الإعداد المسبق ، فدخولهم الفصل في هذه الحالة يفقدهم السيطرة على الطلاب وعلى المادة الدراسية .

كما أن عدم صلاحية بعض المعلمين للتدريس في المستوى الذي وضعوا فيه وعدم اجتهادهم لإثبات أنفسهم في هذا المستوى و قصور النمو الأكاديمي للمعلم الذي يخضع للعشوائية والذاتية، بالإضافة إلى قلة الإطلاع لاسيما في الموضوعات التربوية وعدم امتلاك المعلمين المهارات الأساسية كالتمهيد واستخدام الوسائل والأسئلة والتعزيز وإدارة الفصل والتلخيص ، كلها تجمعت وساعدت على ضعف العملية التعليمية .

سمات المعلم في الفكر التربوي الإسلامي :

النية الخالصة في أداء واجبه أي لا يقصد المعلم دنياه فحسب بل والآخرة أيضا ، قال تعالي : ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ويضع التعليم كرسالة لا مجرد وظيفة .

يحمل هم أمتة ، فالمعلم الرسالي يتفاعل مع قضايا أمته.

أن يكون المعلم المسلم قدوة لغيره لما له من تأثير على غيره.

أن يكون عطاء لا ينتظر الثناء ، قال تعالى: قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم.

أن يراعي الفروق الفردية وتخصصه، حيث لا نجد ذلك في باقي الفلسفات و الثقافات الأخرى، وهناك الكثير من سمات المعلم المسلم الذي يحمل الفكر التربوي الإسلامي حيث نلاحظ اهتمام الإسلام المتوازن الشامل الكامل في شتى جوانب شخصيته والتي أدت إلى الحاجة لمعلم ينهج الفكر الإسلامي، ويقوم بإحياء هذه الأمة .

ومن دواعي ضرورة إيجاد معلم ينهج الفكر التربوي الإسلامي التحديات التي تواجهها المجتمعات الإسلامية فالعصر الذي نعيشه ملئ بالتحديات، فكل يوم يظهر على مسرح الحياة معطيات جديدة تحتاج إلى خبرات وفكر وأساليب ومهارات جديدة و آليات للتعامل معها بنجاح، أي أنها تحتاج إلى إنسان مبتكر ومبدع، بصيرته نافذة، قادرة على التكيف مع البيئة وفق القيم والأخلاق والأهداف المرغوبة وهذا كله يحتاج إلى تربية المعلم في ظل انتهاج تربية متقدمة لتستنفر جميع طاقاتها البشرية والمادية إلى أقصى ما يكون، ألا وهي التربية الإسلامية.

بعض التحديات التي تواجه المعلم في ظل تربية إسلامية:

تحديات تتعلق بواقع تربية المعلم: من هذه التحديات التي عمد الغرب لنشرها في المجتمع الإسلامي هو إعدام الهوية الإسلامية بسرقة الحضارة وتدميرها عند المسلمين، وأهم مظاهر سرقة الحضارة تجريد الأمة من لغتها فأصبح المعلم لا يجيد التحدث باللغة العربية لغة القرآن فاعتري برامج التعليم ضعف وقصور أدى إلى ضعف إعداد المعلم، وعدم تلبية حاجات الطلاب المعلمين وعمل ذلك على عدم تنمية القدرة على التفكير السليم والتعبير .

تحديات تتعلق باختيار المعلم :إن اختيار المعلم يضع الأساس لاعداده لممارسة مهنته، فإن اختير على الوجه الحسن وروعي متطلبات مهنته في هذا الاختيار،نجد معلم قوي مفكر وناقد ،لكن ما نراه الآن من عدم اقبال الطلاب المتفوقون على دخول كليات التربية مهنة التعليم إنما يرجع إلى عدة أسباب، منها (احتقار المجتمع لمهنة التعليم وعدم تقديرها -القيود التي تضعها السلطات المسؤولة على كاهل المعلم -تدني رواتب الموظفين في قطاع التعليم-كثرة الأعباء الملقاة على المعلم ..... وغيرها) لذلك عزف الطلاب المتفوقون عن دخول كليات اعداد المعلمين فأدى ذلك إلى تدني مستويات القبول في تلك الكليات وعدم التقيد بمعايير للقبول ونتج عن ذلك ضعف المعلمين .

تحديات تتعلق بتزايد حملات الغزو الثقافي:

ولكي يسيطر المعلم على هذا التحدي يجب أن يعمل على اكتساب مهارة مساعدة المتعلمين على التمسك بالعقيدة الاسلامية والعمل على تربيتهم تربية إسلامية مساعدة المتعلمين على إدراك أن الدين الحنيف يستوعب جميع أنواع العلوم التقنية ومختلف عوامل الحضارة طالما لا تتعارض مع القيم الإنسانية الفاضلة وترسيخ مجموعة من المعايير عند المتعلم لمقاومة البرامج المختلقة وتقييمها في وسائل الاعلام لذلك فالتحديات التربوية التي تواجه العاملين في حقل التربية خاصة في العالم الاسلامي والعربي كثيرة وصعبة وتحتاج إلى صبر ومثابرة ، ويتحمل المعلم العبء الأكبر في هذا كله ، فلا عودة لمهابة المسلمين ولا جمعا لشملهم ولا تحقيقا لتقدمهم إلا بالعودة إلى التربية الإسلامية التي تعمل على تحكيم شرع الله وتحقيق التكامل بين المسلمين.

كفايات المعلم في الفكر التربوي الإسلامي:

تنقسم كفايات المعلم إلى كفايات علمية ومهنية وأخلاقية وجسدية.

الكفايات العلمية: ويقصد بها إلمام المعلم بتخصصه العلمي ومادته ، فاهماً يمكنه ممارسة مهنة التعليم.

الكفاءة المهنية: ويقصد بها مهارات التدريس التي يجب توافرها في المعلم لكي يستطيع أن يؤدي عمله على أكمل وجه لتحقيق أهدافه التربوية ومن هذه المهارات استثارة الدافع عند التلاميذ ووجودها عنده، فالمفكرون التربويون ينصحون المعلم بأن يثير دوافع المتعلم وأن يرغبه في العلم في أكثر الأوقات ومراعاة الفروق المهنية وعلى المعلم أن يقرب المعنى للتلاميذ وحسن إدارة الصف وهي مهارة يجب أن يتمتع بها المدرس حني يستطيع تحقيق أهدافه في أحسن جو وأن يصون مجالس درسه عن الغوغاء واللغط وسوء الأدب وأن يعامل طلابه بأدب، فهذا ابن سحنون يروي عن الرسول ص أنه قال: أيما مؤدب ولى ثلاثة صبية من هذه الأمة و لم يعاملهم بالسوية فقيرهم وغنيهم حشر يوم القيامة مع الخائنين وأخيراً إعمال مبدأ الثواب والعقاب.

الكفايات الأخلاقية: ومن الكفايات الأخلاقية التي يجب توافرها في المعلم المسلم: القدوة والزهد والتواضع الوقار والهيبة .

الكفايات الجسدية: يهتم الفكر التربوي الإسلامي اهتماما بالغا في الجانب الجسدي عند المعلم فيجب يكون دائما بمظهر مناسب .

أهمية دراسة الفكر التربوي:

تعود أهمية دراسة الفكر التربوى لاعتبار أن :

بفهمه يفهم المعلم مسؤولياته بدراية ووعي .

تعلم المبادئ والقيم التي أنتجها المفكرون.

التحليل والتخطيط للمستقبل.

أهمية الفكر التربوي كما يوجزها الدكتور مصطفى زيادة تكمن فى :

- إثراء قدرات المعلم .

- اكتشاف العلاقة بين التربية والجوانب الحضارية.

-الفكر لا جنسية ولا وطن له .

- منح المعلم رؤية نقدية لتطوير العمل التربوي.

- تعين المعلم لتكوين مفاهيم سليمة للتقدم التربوي.

ضرورة وجود نظرية فكرية للتربية:

فالتربية أداة المجتمع لتشكيل الأفراد في ضوء النظام الاجتماعي وتهتم بالإنسان منذ ولادته ومدى حياته وفلسفة المجتمع في العملية التربوية هي النظرية الفكرية للمجتمع ولما للفكر من دور في التربية كالخريطة التي توجه حركة المسير وللفكر جانب نظري والتربية الجانب التطبيقي وعلاقة التربية بالفكر علاقة وظيفية تكاملية والنظرية التربوية تجيب على الأسئلة وتوضّح المجهول ووظائف الفكر التربوي:- تحليلية - إرشادية - توجيهية ودور النظرية الفكرية ينحصر فى تحديد معالم النظرية التربوية

ودراسة ونقد النظريات ومناقشة الوسائل والحلول للمشكلات التربوية ودراسة القضايا الفلسفية الأخرى وتحليل المصطلحات والمفاهيم فيما يخص المجال التربوي.

علاقة الفكر التربوي بفكر المجتمع:

للفكر علاقة وطيدة بفكر المجتمع لما يلى:

- التربية وليدة المجتمع بكل ما فيه .

- التربية تعكس ما توصل إليه المجتمع من رقي وحضارة .

- مفتاح الفكر التربوي هو مجموع الأفكار المعتقدات والتقاليد التي عليها المجتمع .

ففكر المجتمع يُشكل المُدخلات ويتفاعل مع الفكر التربوي.

نمط التفكير لدى طلابنا:

كان ملفتاً للنظر النتائج التي توصل إليها الباحث العربي سليمان عبد الله بالاشتراك مع الباحث الأمريكي المعروف باول تورنس، عن اختلاف أنماط التفكير بين الطلاب الأمريكيين واليابانيين والعرب، فوجد أن الطلاب اليابانيين حصلوا على أعلى درجات التفكير في الجزء الأيمن من المخ ،حيث يغلب على تفكيرهم الحدس والتفكير الإبداعي، بينما حصل الأمريكان على درجات فيها تكامل بين المخ الأيمن والأيسر، فيما حصل الطلاب في دولة عربية على أعلى درجات في سيطرة الجزء الأيسر من المخ الذي يتعامل مع المعلومات اللفظية والتجريدية، وآراؤه تأتي في ضوء رد الفعل على الآخرين وعادة ماتكون تابعة، فما هو دور الجزء الأيسر وما هو دور الجزء الأيمن من الدماغ؟

وبالتالي ماهو النقص الحادث في نمط التفكير السائد عند ابنائنا، وبالتالي النمط السائد في مجتمعنا فنحن أمام تحدٍ كبيرٍ الحل فيه لايمكن أن يأتى بصورة انقلابية، إنما بصورة تربوية تعتمد على تكثيف الدراسات الميدانية،كما أن الواقع مهما كان سيئاً من خلال نتائج هذه الدراسة، فلايجب أن يعمينا عن كل ايجابيات الطالب العربي وتحريك جانبي المخ هو الأفضل، ولكن جانب منه أيضا يفيد في جوانب محددة تبعا للأهداف المرسومة كيف أصنع فكري؟ سؤال يَحتاج إلى تأنٍّ وتدبُّر، ومُراجَعة ونظر.

الباب السابع
بناء الفكر وانجازاته

أثر الفكر على حياة الإنسان:

الفكر نعمة أنعم بها سبحانه وتعالى على الإنسان وميزه على الحيوان وباقي مخلوقاته فبفضله يستنير طريق البشر وبه تتم الانجازات العلمية إذن للفكر قوة ضاربة في تحديد قيمة الإنسان فأفكار الأمس هي التي أدت إلى انجازات اليوم وأفكار اليوم بها سنحصل على انجازات الغد.

والفكر له برمجة راسخة تتكون لدينا منذ الطفولة مجموعة من المعاني والأفكار لعدة أشياء ووقائع نقوم باكتسابها من منابع مختلفة لتكون برمجة راسخة في عقولنا وهذه المصادر هي سبعة كالتالي:الأبوين--المحيط العائلي-المحيط الاجتماعي- المدرسة – الأصدقاء - وسائل الإعلام -برمجتنا الذاتية هذه المصادر تقوم ببرمجة الطفل ب ٩٠ فى المائة من معتقداته في سن السابعة لذا يجب الحذر مما نقدمه لأبنائنا.

ويصنع ملفات للذاكرة في العقل فمنذ الصغر يبدأ الطفل بصنع ملفات للذاكرة انطلاقا مما يفهمه من تصرفات أبويه وتعبيرات الوجه ولغتهم فيضع بفكره ملفاً لكل معنى (ملف الخوف الإيمان النجاح ....) ولكي يقوم الإنسان بعلاج فكرة سلبية مثلا يجب أن يغير إدراك الملف ومعناه في عقله حتى يتمكن من حذفه نهائياً .

كما يصنع الاستراتيجيات العقلية فكلما استيقظت صباحا أشعر بصداع في رأسي فأحتاج إلى فنجال من القهوة لاسترجاع نشاطي باستعمال مثل هذه الأقوال يكون الناس استراتيجيات سلبية في العقل فيتبرمجون عليها باستخدام متتالية من الأفكار والتصورات الداخلية التي بدورها تسبب النتيجة المتخيلة بفضل الاعتقاد الجازم بهذه المتتالية.

والفكر يؤثر على الذهن فالعقل البشري يعمل بالاتجاهات أي أن كل فكرة فكرت فيها يقوم العقل بفتح جميع الملفات المخزنة التي لها علاقة بهذا الموضوع حتى يركز الذهن عليها فعندما نفكر في أي شئ أو ندركه ينتبه الذهن إليه ويقوم بالآتي:

- التعرف على الفكرة والانتباه لها.

- فتح الملف الخاص بهذه الفكرة.

- تحليل هذه الفكرة ومقارنتها بأفكار أخرى موجودة في الملفات.

- البحث عن الملفات التي لها صلة بالفكرة والتي تدعمها.

- إلغاء أي فكرة أخرى لا تمت بصلة إلى هذه الفكرة.

والفكر والجسد يؤثر كل منهما على الأخر فعندما تفكر في شئ ما فان العقل يفتح جميع الملفات التي لها صلة بذاك الشئ فيبدأ الإحساس به فعلاً وكأنه واقع فأفكارك هي التي تؤثر على أحاسيسك وبالتالي تؤثر على جسمك ولما يكون الجسم على هيئة ما يفتح العقل ملفا لتلك الهيئة ومن نفس نوعه.

قواعد بناء الفكر :

ويمكِن إجمال قواعد بناء الفكر فيما يلي:

١ - كن مُستقِلاًّ: لا تُعِر عقلَك لغيرك فعَقلُك هِبة مِن الله لك، بل هو مِن أعظم الهِبات، فكيف تُسلِم هذا الكنز إلى غيرك ليُسيِّره كما يشاء ويذهب حيث يُريد؟ومسألة إعارة العقل هي الموافَقة المُطلَقة للغير وعدم النظر والتأمُّل فيما يقول أو يفعل، وكأنك عطَّلت عقلكَ وتَفكيرَك وسلَّمتَه إياه على طبق مِن ذهب .

وهذه القضية إعارة العقل هي البوابة التي يدخل منها مُعظَم أو كل أهل البدع إلى أتباعهم، فتراهم يَطلبون منهم التسليم المُطلَق للشيخ أو الإمام دون نظر أو تفكير، بل ويَعتبرون أن مَن يُناقش شيخه أو يشكُّ في تصرُّفاته مارق، وربما يَخرج مِن ملَّتهم ومَن تأمَّل الفِرَق كالرافضة وغلاة الصوفية وغيرهم سيُدرك حقيقة هذا الأمر،لذا حين تَنكشِف الحقائق يوم القيامة يكون الحوار الذي سجله القرآن الكريم، ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴾وقوله: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ﴾،بل إن الشيطان نفسه يصرِّح بذلك، ويوكل إضلاله للعباد إلى أنفُسِهم، وإلى ترك عقولهم له، فاللوم الحقيقي يقَع على العباد أنفسهم؛﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾وكأنه يقول: أين كانت عقولكم عندما دعوتكم، فأنا لم أُجبِرْكم، وكل ما فعلته هو الدعوة فقط وقد يقول قائل: نحن في شَرعِنا الإسلامي لا بدَّ مِن التسليم، فنقول: إن هذا التسليم ليس لمَخلوق، إنما للخالق الذي خلَق الإنسان، وهو أعلم بما ينفعه ويَضرُّه، وهو أرحم به مِن نفسه، وهو أحكم الحاكمين، وأما طاعة الرسول - ص- فهي مأخوذة مِن طاعة الله؛ فهو رسول الله ص ، كما أنه ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾والوحي مِن الله، أما طاعة غير الله وغير رسوله فهي بعد طاعة الله وطاعة رسوله ص ومُرتبِطة بالمعروف ؛ فقد بعث النبي ص سَرِيَّةً فاستعمل عليها رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يُطيعوه، فغَضب، فقال: أليس أمركم النبيُّ ص أن تُطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطبًا، فجمعوا، فقال:أَوقِدوا نارًا، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهمُّوا وجعل بعضهم يُمسك بعضًا

ويقولون: فرَرْنا إلى النبي ص مِن النار، فما زالوا حتى خمَدت النار، فسكَن غضبه، فبلغ النبي ص فقال:(لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف ، ووجه آخَر، وهو اليقين التام بأنه لا يُمكن أن يَتعارض العقل الصريح مع النقل الصحيح فكلاهما مِن عند الله ووجه ثالث، هو أن الشرع يدعو إلى التفكُّر والتأمُّل ويَحثُّ عليه فهو مطلب؛ بل قال الله - تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ فأمر بالعمل بعد العِلم.

قيِّم أفكارك: إن أفكارنا لم تَنبُت في عقولنا مِن فراغ أو مِن لا شيء، إنما جاءت من مصادر مُتعدِّدة ومُتنوِّعة، فلا بد مِن مراجَعة تلك الأفكار والنظر في مصدرها ومدى صدق ذلك المصدر والثِّقة فيه فسماعنا ورؤيتنا تَصحبهما رسائل وأفكار إلى عقولنا وليس مجرَّد كلام وصُوَر، وقد يُراد أن تتجذَّر لدَيك أفكار محدَّدة عن طريق تلك الكلمات والصور، فبعض الأحيان يكون الخبر صحيحاً؛ لكن ما يَتبعه من تحليل وتضخيم أو تصوير هو الهدف، فيَتغلغل إلى ذهنك مع الخبر الصحيح فيَحصُل المقصود، لذا فعند المُراجَعة والتدقيق تتبيَّن لك أمور لم تتوقعها مِن قبْل، واقرأ معي هذه الآيات: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾،إنهم يَسمعون ويعقلون ولكنهم نفَوا عن أنفسهم السمع النافع والعقل الراجح المُفكِّر الذي يوقف صاحبه على حقائق الأشياء، ويُرشِده إلى الخير ويُبعده عن الشر بعكس أهل الإيمان، وفي ذلك اليوم - يوم القيامة - تتكشَّف لهم الحقائق ويُدركوها، ولكن في وقت متأخِّر.

وحتى لا تكون ضحيةً لأفكار غيرك عليك أن تسأل نفسك ثلاثة أسئلة:

-١ ما مصدر تلك الأفكار؟

-٢ ما مدى ثِقَة وصدق هذا المصدر؟

-٣ ما الأدلة على صحَّة تلك الأفكار؟

-٣ لا تكن تافهاً خفيف الوزن:

واللهِ لئن قالَه لقد صدَق، فما يُعجِبُكم مِن ذلك؟ واللهِ إنه ليُخبِرُني الخبرَ لَيأتيه مِن اللهِ مِن السماءِ إلى الأرضِ في ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ فأصدِّقُه تلك العبارة قالها أبو بكر الصدِّيق - رضي الله عنه - حين قال له كفار مكة: يا أبا بكرٍ هل لك في صاحبِك - يَعني محمدًا، ص- يزعُمُ أنه جاء هذه الليلةَ بيتَ المقدِسِ وصلَّى فيه ورجَع إلى مكةَ!، إنها والله الثِّقَة في صدْق الحدث حتى لو كان مستحيلاً في نظر البعض، إن صاحب اليقين الراسخ بما لدَيه مِن أفكار لا تَهزُّه العبارات والتصرُّفات بل تزيده ثباتًا لذا والله أعلم كان مِن صفات المؤمنين عدم الرَّيب؛ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ ومِن صفات المنافقين الريبة (الشك)؛ ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ وانظر إلى المواقِف المُتباينة في غزوة الأحزاب كيف صوَّرها القرآن الكريم:﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾الموقف واحد، والمكان واحد والزمن واحد، ولكن اختلاف الثقة والإيمان هو الذي سبَّب اختلاف النظرة والتحليل بين الفريقَين.

إن قوة أدلتك وتنوُّعَها وصدق مصدرها يجعلك تطمئنُّ وتَثِق فيما لدَيك، فتُصبح ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾فالعُلوُّ والارتفاع لا يؤثِّر في ثباتها،فهي راسِخة حتى لو وصَل ارتفاعها إلى السماء، وإياك أن تكون كالريشة التي تُحرِّكها الريح حيثما شاءت، فلا إرادة لها ولا سُلطة حتى على نفسِها.

تذكَّر أن هناك مَن يسعى لزعزعة الثِّقَة في نفسِك، ويطمح لخلخلة أفكارِك وإيجاد ثُغور فكريَّة يُمكنه أن يتسلَّل مِن خلالها إلى عقلِك وقلبك،فهل ستَسمح له؟

٤ -ارفع الأسوار: مثلث صحة الأبدان هو:التغذية والحمية، والاستفراغ، وقد أشار ابن القيم إلى أن صحة القلوبِ مشابِهةٌ لصحة الأبدان؛ فلا بدَّ من تغذية القلب وحمايته وتنقيته، وصحة الفكر لها المثلثُ نفسُه: التغذية، والحماية، والتنقية وتزدادُ أهمية الحمية الصحية في بعض الحالات الخاصة كالمريض،أو الحالات العامة كانتشار بعض الأمراض والأوبئة، وكلما كانتِ الحالة أشدَّ كانتِ الحمية أهمَّ، حتى ظهر نوعٌ جديد من الطبِّ يُسمَّى الطب الوقائي، وهو مجموعة من الإجراءات الفردية والجماعية، الهدف منها الوقاية من المرض قبل الإصابة به.

والحماية الفكرية ليستْ أقلَّ أهميةً من الحماية الصحية، لأن فقدانَ الحماية الصحية ربما يؤدِّي إلى الموت الجسدي على أسوأ حال، مع محافظته على دينه، لكن فقدان الحماية الفكرية يعني الإصابةَ بالأمراضِ الفكريةِ،التي ربَّما تؤدِّي إلى الخروجِ من الدِّين وخسارة الدنيا والآخرة، فضلاً عن سَعْيِه في نشرِ سمومِ أمراضه الفكرية في أوسع مجال والأمة مطالَبة بأن يكون لها حميةٌ وقائية فكرية، كما في الطب الوقائي، وإلى أن يتم ذلك على العاقل أن يجتهد في حماية فكره ووقايته بأسوار وليس بسورٍ.

وعليه في هذا الزمن بالذات رفعُ الأسوار؛ لعدة أسباب:

١- نمو المعلومات على مستوى العالَم؛ فالمعلومات في العالَم تنمو بنسبة تفوق الضعف كلَّ عام، والمعلومات الرَّقْمية تتضاعف كلَّ ١١ شهراً، وحجم البيانات في العالَم مرجح أن يتضاعف ٤٤ مرة خلال السنوات القليلة المقبلة فقط.

٢- الإغراق في البثِّ الفضائي؛ فعددُ القنوات الفضائية يقرب من ٦٠ ألف قناة فضائية، أما عدد الإذاعات، ففي العالَم ٢٥ ألف محطة حسب إحصائية ٢٠٠٨م.

-٣ تزايد عددِ الصحف والمجلات الوَرَقية والإلكترونية؛ ففي شبه القارة الهندية فقط أكثر من ٨٢ ألف صحيفة، هذا عدا الإعلام الجديد ومواقع الإنترنت، التي تتكاثر يومياً بشكل يصعب حصره.

ونتيجةً لذلك أصبح الإنسان يتلقَّى يومياً كماً هائلاً من المعلومات والأخبار من مختلف المصادر والأماكن،التي تحمل الغثَّ والسمين، والجميل والقبيح، والصحيح والخطأ، وهذه بدورِها تُسهِم في تشكيلِ فكرِ الإنسان وبناءِ شخصيته ولقد أصبحنا نسمع ونرى لوثاتٍ فكرية لم نكنْ نتوقَّع أن تكون في مجتمعاتنا؛ فالحديث عن الشذوذ، والفاحشة، ومقارفة المنكرات؛ لا على أنه منكر، بل على أنه حرية شخصية، وحق إنساني، ووصل الأمر إلى التطاول على الذات الإلهية والإلحاد، وعلى ثوابت شرعية معلومة من الدين بالضرورة ومن أجل ذلك ينبغي وضعُ أسوارٍ عملية للحماية الفكرية، ومن هذه الأسوار:

ابتعد : عدم التعرُّض للشبهات، والابتعاد عنها وعن أصحابها، استمع إلى قوله -تعالى:- ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ .

وتأمَّل هذا الموقف: أتى عمرُ بن الخطاب النبيَّ - ص- بكتابٍ أصابَه من بعضِ أهلِ الكتابِ، فقرأه على النبيّ ص فغَضِب، وقال أَمُتَهَوِّكون فيها يا بنَ الخطابِ، لقد جِئتُكم به بيضاءَ نقِيَّة،والذي نفسي بيده، لو أنَّ موسى كان حيًّا ما وَسِعَه إلا أن يَتَّبِعَنيومعنى: أَمُتَهَوِّكون؛ أي: أمتشكِّكون، أو متحيِّرون، وسعيُ العبد لمصدرٍ آخر دليلٌ على شكِّه في المصدر الأول، ولو بنسبة ضئيلة.

ميِّز : إذا لم يمكنْك الابتعادُ، فعليك بالتمييزفلا تكن أُذنًا: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ والأُذن هو الذي يَقبَل كلَّ ما يقال له، لا يميِّز بين صادق وكاذب، فعليك بالتمييز بين ما يُقبَل وما لا يُقبَل.

لا تسمع بلسانك: فإذا كان السورُ الثانِي يتحدَّث عن القبول، فهذا السورُ يتحدَّث عمَّا بعد القبول، ولكن هل يسمع الإنسان بلسانه؟ حين أنزل الله براءةَ عائشةَ رضي الله عنها مما اتُّهِمت به في حادثة الإفك المشهورة، كان مما قاله سبحانه ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ... ﴾ ويعني أنه تلقَّى الخبر بأذنه، وتحدَّث به بلسانه دون المرور على عقله وفكره، ولو أمعن وتفكَّر قليلاً لكان له رأي آخر، ومن هنا قال الله -تعالى بعدها: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ .

بناء الفكر بناء للحضارة:

إنَّ الإنسان كائنٌ مكرمٌ منذ بدء خلْقه، فضَّله الله وأَسجَد له ملائكته، وحمَّله أمانتَه، واسْتخلَفه في أرضه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ثم جعَل أمَّة الإسلام خيرَ الأمم، وربَط خيريَّتَها بامتثالها لأوامره، وقيامِها بالأمانة المَنوطة بها:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

وسخَّر الله للإنسان الأرض وما حَوت، والسماءَ وما طَوت:﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ ونَصيبُ الإنسان من تلك الخيريَّة والمُمكِنات الكامِنة معلَّقٌ بوعيه الذاتي، الناشئ عن بنائه الفِكري ولا يَخفى على عاقلٍ أنَّ الأمة ابتعَدتْ عن النَّهج الذي جاء به القرآن مُخاطبًا الإنسانية في أوَّل ما نَزَل باقرأ، والتي كانت بمثابة دعوةٍ لإعمال الفكْر وتوجيهه للقراءة والفَهم، فغدتِ الأمة مُواجِهةً لمُنحدَرٍ فكْريٍّ وعر، حوَّلها من أمة مُنتِجة للعِلم والحضارة والنَّهضة، إلى أمَّة مُستهلِكة بالدرجة الأولى، أَعملَت بها ثقافة الغرب المادية أنيابَها نهشًا، وغزتْها فِكريًّا بآلةٍ إعلامية فتَّاكة، أَخرجتِ الأمةَ من السِّباق الحضاري، ومن دورة النهضة إلى دورة الرُّكود والخمول، فلا نصيب لها من الخيرية؛ لابتعادها عن شروطها!والمُتتبِّع لمسارات الحضارات والأمم يرى أنَّ نهضة أية أمةٍ مُرتبِطٌ ارتباطًاً وثيقًاً ببنائها الفكري، الذي يُمكِننا أنْ نعرِّفه بأنَّه عملية تَحصيل وتَراكم المعرفة؛ لِتفرِز أخلاقًا وحكمةً، وخبرةً ومهارةً في التعامل مع تلك المُمكِنات، وكأيِّ بناءٍ فالبناء الفكري له أُسسٌ يَنطلِق منها، ولَبِناتٌ تُكوِّنه، فأساس البناء الفكري تَراكم المعارف والعلوم التي يَجمعُها الإنسان بعد خروجه إلى هذا العالم، بعد أنْ كانت منظومة معرفتة صفرًا؛ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ ويُمكِن أنْ نُسمِّي هذه المرحلةَ عملية التجميع؛ يَجمع فيها الإنسان وحَدات المعرفة،والخبرات العمليَّة من مختلف الحقول والعلوم، ويُراكِمها لتكون أساسًا تَستندُ إليه بنيتُه الفكرية، وتلك التَّراكُمات مرتبِطةٌ بمدى سعْيه الحثيث للقراءة والعِلم والفَهم.

ولا تتوقَّف عمليَّة البناء الفكْري عند التجميع؛ لأنَّ الوقوف عندها أو الخَلط بينها وبين عملية البناء مُنزلَقٌ خطر؛ فالمعلومات التي تَنتمي إلى حقولٍ معرفيةٍ مُتباعِدة، ولكثرتِها تَجعل البِنية العقلية لدى الشخص العادي عاجزةً عن استخلاص أيّ شيءٍ كلّي؛ بل تَنتقل للمرحلة الأهم، وهي عملية البناء، التي تنظِّم الجمْع، وتَستثمره وَفْق منهجٍ واضح للوصول إلى هدفٍ مرجوٍّ، فتصبح عملية جمْع الأفكار أكثر تنظيماً وانتقاءً، وتأخذ دورة الإضافة والحذف والتنقية والغربَلة للأفكار دورَها، فعملية البناء الفكري عَمليةٌ مستمرةٌ ممتدةٌ بامتداد عمْر الإنسان، فبناء الفِكر يَعلو طابقًا فوق طابق، وكل فِكرةٍ تُضيف إلى البناء لَبنةً صغيرة، أو تَحل مَحل لبنةٍ فاسدة؛ حتى تُصبح المنظومة الفكرية بناءً متكامِلاً، أكثر ترتيبًا ووضوحًا، وببناء الفِكر تُبنى الأمم.

أهمية الفكر القومي في التربية الثقافية لدى المجتمع:

تهدف الثقافة الوطنية إلى تربية قومية وتسعى لتنمية شخصية الإنسان ، بكل جوانب الحياة العقلية والانفعالية، والأخلاقية، والجسمية، وتشمل الثقافة في معانيها الواسعة، البيئة، الفرد، الأسرة، المجتمع، الوطن، والمواطنة وبين التربية القومية، والثقافة الوطنية علاقة تلازمية تكاملية تغذيان الواقع نفسه، وتعيدان صياغة الفعل والمنتج، بحيث يتعذر تحقيق أحدهما من دون الآخر.

فالثقافة تمثل المضمون الفعلي للتربية والمبرر الواقعي الحي لوجود الفرد وممارسته على واقع الحياة، ويقوم الإنسان بنقل الثقافة وجعلها خطاباً وممارسة جماعية قابلة للتداول بين البشر، وهذا المنتج الطبيعي المنتظر للثقافة التي هي أكثر عمقاً وتنوعاً وتألقاً وتفرعاً، قياساً وفعلاً من هنا تظهر العلاقة الوثيقة بين الثقافة الوطنية والتربية القومية الصحية التي تهتم بتنمية شخصية الفرد المتعلم، والمواطن المسؤول عن المجتمع والوطن والأسرة والمواطنة، وهذه عملية تكاملية ضمن وظيفة تقنية تربوية تنمي الخيرات وتجدد الحياة نحو الأفضل .

كما تشرك الفرد بسمات عقلية سلوكية، وتكمل المنهج التربوي بجميع الخبرات والمؤثرات الوطنية لشخصية المواطن تجاه وطنه، وخاصة تلك الخبرات الناتجة عن تفاعل البيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية مع الاهتمام بالنشاط الحر والتعبير عن الذات، والاستفادة من الخبرات والمعارف والمهارات باعتبارها وسائل تعليم مهمة، باعتبار التعليم يسعى وراء الوعي من أجل أن يكون المتعلم واعياً ثقافياً وأدبياً واجتماعياً،من هنا ومن هذا الهدف انبثقت الأنشطة الثقافية في المجتمعات وتفعيل النشاط الثقافي داخل التجمعات البشرية يعطي طابعاً تعريفياً، بحيث تؤطر المناهج التربوية وتعزز الحوار اليومي داخل الأسرة ومع الأصدقاء في المجتمع، فالأنشطة الثقافية هي مجموعة من العمليات وأشكال التربوي التي يتم بها تسيير وتوجيه وضبط التواصل بين الأفراد وإنجازات مهام وأعمال يقومون بها، باعتبار أن الأنشطة الثقافية الوطنية تصب في حقول مختلفة تستدعي التداول فيها لبث الروح القومية الإبداعية، وتشجيع المبادرة الذاتية لدى أفراد المجتمع الواعي، والمنافسة الطيبة بينهم، والتي تؤدي بدورها إلى نشر الوعي وتكسر الجمود الثقافي، حيث إن العمل الثقافي لم يعد محصوراً في المسرح والموسيقى ومجلة الحائط، وحتى الأمسيات الشعرية والقصصية، والندوات الأدبية، بل تعدى ذلك فلم يعد عملاً موازياً، بل أصبح العمل الثقافي في قلب كل بيت، يدعمها ويخلق فضاءات عديدة على شكل حوارات،وندوات وأمسيات أدبية، ناهيك عن التلفاز، والفضائيات والراديو،والصحف والإنترنت، فنسمي ثقافة الفرد الوطنية والتربية القومية هي تزيد ثقته الشخصية وطاقاته بمسؤوليته تجاه وطنه وشعبه، وتجعله أكثر انفتاحاً لخلق علاقات ممتازة مع الآخرين، وقدرة على الانخراط في العمل الجماعي الوطني والإبداعي بأسلوب جديد يرتقي بأداء كبير فيه روح المسؤولية العالية تجاه الوضع المأساوي، والأزمة الحالية التي تمر بها البلاد من مؤامرة واستهداف طاقات الوطن والمواطن.

تطور العقل البشري:

في مرحلة الحاجة إلى توفير الغذاء ، صار الإنسان يعتمد على الصيد ، يصطاد الحيوانات المختلفة ، ويطهوها ويتناولها مطهية هذه المرحلة جاءت بعد أن كان يعتمد على جمع والتقاط الثمار المختلفة لسد حاجته من الغذاء ، وكان سكنه في الكهوف والمغارات ومدرسته ،نجد أنها أدت إلى ظهور تراث علمي ، ورياضي خصوصاً ، واكتشف فيثاغورث العلاقة العددية البسيطة لما يسمى الآن بالمسافات الموسيقية، وفكرة فيثاغورس تقول أن الأشياء كلها أعداد ، ولكي نفهم العالم لا بد من أن نعرف العدد في الأشياء واكتشف نظرية المثلث قائم الزاوية التي أخذ مبادئها من قدماء المصريين والبابليين الذين تلقى علوم الهندسة على أياديهم، ولكي نفهم هذه النظرية كان لا بد من إيجاد نظرية في الأعداد الصماء.

وفي حوالي عام ٣٥٠٠ قم جرى أهم تحول في الحياة الفكرية هذا التحول كان الثورة الحضارية الكاملة في بلاد ما بين النهرين ذات إمكانيات الإنتاج الكبيرة فأقامت قرى واسعة على طول نهري دجلة والفرات وفي مصر أقيمت حضارة قديمة في الدلتا على طول نهر النيل ووضعت أنظمة الري ومهد الطريق للثورة الحضرية ، سلسلة كاملة من الاختراعات التكنولوجية في المجتمع الزراعي وتم تسخير قوة الثيران والريح والمحراث والعربة ذات العجلات والزورق كما اكتشف الإنسان خصائص المعادن، وتعلم صهر النحاس والبرونز كما أن الحياة المدنية أوضحت إنجازات الحضارات القديمة، كتشييد الصروح الضخمة الأهرامات والمعابد والتماثيل كما أن الحياة المدنية تطلبت قانون ينظم حياة الناس ويمنحهم الأمان كي يفكروا فى المستقبل ،وتم اختراع الكتابة والطباعة وتطورا ومن أجمل وأروع ما أحدثته الكتابة أنها كونت الذاكرة المدونة التي تعين على تطور الحضارات

وجعلت الأجيال المتعاقبة تبدأ من حيث انتهى السابقين بهدف السعي للارتقاء بواقع المعيشة حيث كانت الثقافة في الماضي شفوية قبل اكتشاف الكتابة فكانت تعتمد على ذاكرة كبار السن لكي ينقلوا الخبرات بالحكاية عبر الأجيال وكانوا يحفظون ما يقولونه ويرددونه تباعاً مثل كل الأمم السابقة، وكانت ميزة الحفظ يتمتع بها بعض الأفراد وتتركز فيهم، هؤلاء الأفراد يشكلون مجموعة من الكهنة والمؤرخين والشعراء والمغنيين، وظلت الحكايات والمعلومات وتواريخ الأمم محفوظة في ذاكرتهم حتى جاء عصر الكتابة .

الباب الثامن
الفكر والاسلام والتربية

عناية الاسلام بالجانب الفكرى:

ان تفكير الانسان لا يجنح إلا إذا باشره وهو متأثر بعاطفة معينة أو هوى خاص أو واقع تحت تقليد معين أو عادات ترسبت فى نفسه وأصبح صدور الأثر عنها صدوراً لاشعورياً وما يرجى ويطلب للإنسان فى استقامة تفكيره هو أن يستعين بارادته فيرتفع فوق مستوى التأثر بالهوى أو بالعادات والتقاليد أو بأى عامل من العوامل التى من شأنها أن تؤثر وتبعد عن التفكير السوى وفى الاسلام إذا كان الله قبلة الإنسان ووجهة العبادات التى يكلف بها من قبل الله سبحانه تنطوى على تقريب للانسان من الله فى سره وعلانيته وتدريب نفسه على أن يجعل منها رقيباً وينشئ فيها قوة تعينه على السيطرة على الهوى والشهوة وهى قوة الإرادة أو قوة الايمان .

وهكذا يكون المؤمن بالاسلام لو اتبعه كدين صاحب استقامة حتماً فى تفكيره لأنه متجه فعلاً إلى الكمال المطلق وهو المولى جل جلاله وقاصداً إليه قصداً أولياً ولأنه فعلاً صاحب إرادة وإيمان يرتفع به فوق الشهوات والأهواء .

ومن جهة أخرى فالدعوة الاسلامية تركزت فى تحرير الانسان وفى المحافظة على خصائصه كطبيعة إنسانية متميزة لها المنطق ولها الحكم على الأشياء وتقييمها ونادت بتحرير الانسان من كل العوامل التى من شأنها أن تحد من خصائصه الانسانية وأن تضعف من منطقه وقدرته على الحكم والتقييم فحرمت الربا وإذلال الانسان عن طريق حاجته أو عن طريق الجاه لأنه سيؤدى فى النهايه إلى إذلاله عن طريق حاجته إلى ما يحتكر وحرمت الخمر وكل ما يذهب العقل وقوته مما يشرب أو يدخن كما حرمت الإكراه على القول أو الفعل وحرمت كل ما يحول دون التفكير المستقيم الصادر عن حرية إنسانية واختيار إنسانى والحرية الإنسانية

والاختيار الانسانى ليس هما طبعاً الانطلاق الحيوانى البدنى للانسان إنما الاطار الانسانى لتفكير الانسان يدور فيه منطقه وحكمه بكل ما تدعو إليه الإنسانية وتستهدفه الحياة البشرية من قيم ومثل وقوام الدعوة لا يتجاوز حرية الإنسان إما فى استخلاصها أو فى المحافظة عليها ونادت هذه الدعوة أيضاً بأن يحتفظ الإنسان بخصائصه الإنسانية التى تخلصت له وتحررت من كل العوامل الأجنبيه عنه التى تحول أو تعوق دون تفكيره تفكيراً إنسانياً خالصاً .

وليست حرية الإنسان هى حرية بدنه ومطالب هذا البدن ومتعه وإنما حرية إنسانيته وما ناله من تفكير وما وهب من عقل ليست حرية الانسان هى التى يحددها متاع هذه الدنيا فمتاع هذه الدنيا هو ما تذكره الآية الكريمة(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) [1] .

فإن دار تفكير الإنسان فى هذه الدوائر وحدها ولم يرتفع فوق مستواها ليقيمها ويحكم عليها ويتخذ منها موقفاً معيناً عاش بتفكيره وهو خاضع لتأثيرها ويستحيل عليه عندئذ أن يكون تقييمه تقييماً سليماً كما يستحيل أن يعرف القيم والمثل العليا فى الحياة يستهدفها بعد أن يستخلصها من عبادته لله ومن صفاته جل شأنه وهى صفات الكمال المطلق الذى لا تشوبه شائبه نقص إطلاقاً والاسلام إزاء ما دعا إليه من عقيدة وإيمان يتجلى فى هذا الاطار أولاً وإزاء موقف المنكرين لما دعا إليه لأنهم احتكموا فحسب إلى ما عاشوا فيه ولم ينزعوا أنفسهم من عادات تعودوها وتقاليد اتبعوها ليحكموا على ما دعا إليه نجده يعيب عليهم منطقهم وما انتهى إليه تفكيرهم لا لشئ إلا لأنهم لم يتجردوا من هذا التفكير ولم يستخلصوا حريتهم الإنسانية ليدور فيها تفكيرهم ويقيموا عليها تقييمهم وتحديد مواقفهم مما يواجهونه فى الحياة

تقول الآية الكريمة (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا أولوا كان ءاباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) [1] ففى هذه الآية لا يعيب عليهم أنهم رفضوا ما دعا إليه الاسلام إنما يعيب عليهم أولاً وبالذات أن سبب رفضهم كان اتباعهم ما ألفوا وما عاشوا فيه من قبل دون أن ينحو هذا التعود جانباً وينظروا فيما دعوا إليه أهو حق بحكم المنطق الانسانى السليم ؟ .

الفكر التربوي الإسلامي :

جاء الإسلام بنموذج تربوي صاغ الشخصية المسلمة صياغة متكاملة تمتلك مقومات الهوية المتميزة التي جمعت بين الأصالة والمعاصرة ومثل المسلمون الأوائل التربية واقعاً عملياً في حياتهم في ضوء ما رسمه القران وأقرته السنة لذلك قدموا أفضل حضارة عرفها التاريخ فطريق النهضة الوحيد هو التمسك بالعقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي الأصيل لذلك تتبوأ الأمم الصدارة حين تستقي نظامها التربوي من عقيدتها ومن المنهج الذي ارتضاه لها الخالق وحين تعتمد الأمم والمجتمعات في تربية أبنائها على أفكار وافدة فأنها فإنها تفرز أجيالا مستغربة .

وهناك فريق توهم أن سبيل النهضة والتقدم يكمن في الأخذ بالأنظمة الغربية في شتى المجالات وفريق اتسم بالأصالة وركز على المنابع الأصيلة دون رفض للتجديد وجمع بين الأصالة والمعاصرة .

مصادر الفكر التربوي الإسلامي :

القرآن الكريم : انزل على الرسول ص ليكون منبع هداية وإرشاد ومصدر تشريع له ولأمته فترك القرآن أثراً طيباً في تربية الرسول ص وصحابته فبنى القرآن فكراً وأمة قادت العلم قروناً طويلة .

كما أنه جاء ليزكي النفوس ويهذب الأخلاق ويربط الناس بخالقهم فهو منهاج حياة ودستور أمة ومن بعض الجوانب التربوية التي أشار إليها القرآن كمصدر للفكر التربوي الإسلامي :

عنايته بالتربية العقلية : دعا القران الكريم الإنسان إلى استخدام عقله وعول على العقل في أمر العقيدة والتكليف وهناك عشرات الآيات التي تحث على ضرورة استخدام العقل وتعيب على أرباب التقليد الذين رفضوا الإيمان لان آبائهم لم يكونوا على الإسلام .

تأكيده على التعلم والتعليم : مجد الإسلام العلم ورفع من شأنه وشأن العلماء فكلما استزاد الإنسان من العلم ذادت خشيته من الله وكرم الله العلماء ورفع من شأنهم في قوله تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) كما جعل العلم وسيلة للتفاضل بين الناس في قوله تعالى : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وتضمن القرآن الكريم عدد من المبادىء التي ينبغي الاسترشاد بها أثناء التعليم وهي :

- ضرورة الاستزادة من العلم .

-ضرورة شعور الإنسان بضالة معرفته .

عنايته بالتربية الخلقية : اهتم القران بكمال الأخلاق وتزكية النفس كما أشاد بأخلاق الرسول ص فى قوله تعالى : (انك لعلى خلق عظيم) .

عنايته بالتربية الجسمية : تجلت عنايته بجسم الإنسان وجعل الصحة من مميزات القيادة والاصطفاء كما أكد القرآن على تغذية الجسم بالطيب من الغذاء ونهى عن الإسراف في الطعام لأنه يضر بالصحة وحرم الأطعمة والأشربه التي تحمل الضرر للجسم والعقل .

عنايته بالتربية العملية : وجه القرآن إلى التربية المهنية وأعلى من شأن العمل وحث على عمارة الأرض كما نهى عن الرهبنة ودعا إلى الوسطية والاعتدال في العبادة وتقيم الدنيا كما يرفض البطالة والتواكل فالمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

عنايته بالتربية الاجتماعية :عنى القرآن بكل ما يحقق أواصر التماسك والترابط داخل المجتمع على كل مستوياته فبدأ بالأسرة ودعا إلى بر الوالدين كما دعا إلى حسن معاملة الجيران وأوصى بهم كما اهتم أيضاً بصلة الأرحام والقيام بحق اليتامى والمساكين وحث على التعاون

المصدر الثاني : السنة النبوية :

السنة النبوية هي ما جاء عن الرسول ص قولا أو فعلا أو إقرارا وفوائد وأهمية السنة النبوية هي إيضاح المنهج التربوي المتكامل الوارد في القرآن الكريم واستنباط الأساليب التربوية من حياة النبي ص ومكانة السنة وحاجاتهم والاهتمام بالتربية السياسية والجمالية والاجتماعية والوجدانية ومراعاة مبدأ الفروق الفردية والتأكيد على القدوة الحسنة وإقرار حق النساء في التعليم والعناية بتربية الطفل .

المصدر الثالث : الاجتهاد : لغة بذل الوسع والطاقة في طلب الشيء واصطلاحاً عند الأصوليين استفراغ الفقيه الجهد والوسع لتحصيل ظن حكم أو علم به والتربية الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان شرع الاجتهاد لأن المستجدات التربوية تتلاحق وتتجدد ولأن الفكر الإسلامي له خصائص أكسبته المرونة والتجديد والاجتهاد ضرورة شرط أن يكون تحت مظلة الكتاب والسنة ويحقق نفع لمسلمين وأن يكون فيما هو ظني الثبوت وليس فيما هو قطعي الثبوت والدلالة وشرع احتراماً لقيمة العقل ولمواجهة المتغيرات وللاجتهاد طرق منها: القياس ، الرأي ، الإجماع .

معالم الفكر التربوي :

الإنسان : حيث كرم الإسلام الإنسان ونظر إليه نظرة تتسم بالتوازن بين طاقاته المختلفة والتكامل وابن الجوزي نظر إلى الطبيعة الإنسانية على أنها وحدة متفاعلة متداخلة العناصر والمكونات فوجوده مادي وروحي وجود متوازن لا يطغى نشاط على الآخر بل تتكامل قوى الجسم والنفس والعقل أما الطبيعة الإنسانية فيرى سبنسر أن الإنسان متوحش مطبوع على الشر فهو شرير بطبعه أما جان جاك روسو فيرى أن الإنسان خير بطبعه والإسلام يرى أن الطبيعة الإنسانية تتسم بالوسطية مزودة بمعايير فطرية تدرك الخير والشر من خلال البيئة والتنشئة والمجتمع ويكتسب الجانبين بالتطبع فالفطرة هي الخلقة السليمة التي لم تصبها شائبة قال ص (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) والطبيعة الإنسانية مرتبطة بقضية حرية الإرادة هل الإنسان مخير أم مسير ؟ .

الكون : الكون أحد مخلوقات الله خاضع لسننه ومسخر للإنسان بنعمه التي لا تحصى خلقه الله لتحقيق الآتي : سخره الله للإنسان لتحريك مشاعره وإحساسه بعظمة الخالق كما أوضحت العديد من الآيات ذلك ولتربية المسلم على الجدية فالله لم يخلقه عبثاً ولا لعباً وتربية المسلم على حسن الخضوع والخشوع لله سبحانه وتعالى وتربية المسلم على احترام العلم و أعمال العقل وتربيته على القيام بالمسئولية

المعرفة : ولا تقف المعرفة عند الجوانب المادية أو المعنوية فجميع المعارف لها قيمتها مادامت في مصلحة الفرد والجماعة ولا تتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي والمعرفة شاملة لجميع العلوم المرتبطة بالدنيا والآخرة ، الغيبية منها والمادية والمجردة ومصادرها هي مصادر التشريع الكتاب والسنة والمصادر الثانوية الاجتهاد والقياس والكون ووسائلها هي العقل والحواس والتجريب وهي قسمان معرفة توفيقية ومعرفة مكتسبة.

السمات المميزة لحركة الفكر التربوي الإسلامي :

وهناك بعض السمات المميزة لحركة الفكر التربوى الاسلامى منها عنايته بالفردية والاجتماعية في آن واحد ويهتم الفكر التربوي في الإسلام بالفرد باعتباره انساناً له كيانه وفي الوقت ذاته مسئولاً عن أفعاله وعنى بالانسان جسمياً وعقلياً وانفعالياً وخلقياً واجتماعياً كما اهتم أيضاً بالمجتمع باعتباره وعاء يصوغ الفرد ويشكل اتجاهاته وهناك العديد من الآيات والأحاديث التي تؤكد الخطاب الجماعي والجمع بين الاصالة والمعاصرة فكر أصيل في مصادره ومنهجه حافظ على ثوابت الأمة وحرص على ترسيخ العقيدة والقيم كما أنه فكر متجدد يتصل بكل نتاج علمي وفكري يخدم الانسانية يساير مستحدثات العصر مع المحافظة على الثوابت ويكفي شهادة سيزل عميد كلية الحقوق بجامعة فينا في مؤتمر عالمي عام ١٩٢٧م أن البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد إليها ،فانه على أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد مانكون لو وصلنا إليه بعد ألفي عام كما تتميز بالمرونة مع الحفاظ على الذاتية وفكر متفتح لثمرات الفكر البشري وفكر لديه المقدرة في اشد مراحل الضعف والمحافظة على ذاتيته والحيلولة دون الانصهار في بوتقة غربية معادية كما قاوم كل المحاولات لاضعافه أو القضاء عليه وفكر يحمل في طياته مقومات نهضة كما يمتلك آليات تصحيح المصطلحات وتحرير القيم والإستمرار فالتربية من المهد إلى اللحد فلا حد للتعليم وأيضاً مخاطبة ضمير الإنسان ففكر خاطب الضمير الانساني يكون يقظاً في السر والعلن مراقباً خالقه في كل أعماله ويجعله مسئولاً عنها .

والتاريخ الإسلامي حافل بالنماذج التي تؤكد يقظة الضمير والتدرج أى الانتقال من البسيط إلى المركب ومن السهل إلى الصعب ومن المحسوس إلى المجرد فمثلاً نزل القرآن مفصلاً في ثلاث وعشرين سنة فرضت الزكاة والصيام بعد الهجرة بعامين تحريم الخمر تم في ثلاث مراحل والعالمية فهو دعوة عالمية للبشرية كافة .

دراسة الفكر التربوى ضرورة:

١- الفكر التربوى والأزمة التربوية المعاصر: أرجع الكثير من الكتاب الأزمات التى تعانيها التربية بأوضاعها المعاصرة إلى قلة فعاليات الفكر المحرك لها نتيجة أنه مازال فى كثير من أفاقه يتسم بالأفكار المتناقضة إضافة إلى إتسامه فى كثير من الحالات بالأفكار المسطحة التى لا يرى لها أبعاداً تجسدها أو حركة فى الواقع الحى.

وإنه إذا كان هناك جهود فكرية تربوية لمواجهة هذه الأزمات قد دونت وكتبت فإنها بحاجة اليوم إلى مراجعة وتقويم وإعادة صياغة بما يخدم الفكر التربوى وذلك بفهم هذه الجهود ووضع سائر الضوابط اللازمة لتفعيلها وتحديد الأدوار اللازمة لتنفيذها.

٢- الفكر والإنتاج التربوى: تظهر المؤشرات قلة فعالية الإنتاج الفكرى فى الواقع التربوى حيث أن هذا الإنتاج الفكرى لم يتعرض لعمليات نقد وتحليل حقيقى وصادق لمعرفة مدى إسهاماته فى ترقية الواقع التعليمى وفى مواكبته للفكر التربوى العالمى. ومن ثم تعد عمليات النقد لهذا الإنتاج ضرورة من أجل نموه وتقويم مساراته حتى يستطيع التأثير فى مسارات الفكر التربوى العالمى المعاصر.

٣- الفكر والتجديد التربوى: حيث تساعد دراسة حركة الفكر التربوى ورصد تطوره فى الرؤية الواقعية والمتبصرة لعمليات التحديث التى تجرى وعلى ذلك يعتبر التحديث التربوى محاولة لعنصرة النظام التربوى وذللك بإدخال تقنيات وآلات ووسائط تربوية جديدة تكون تطبيقاً لفكر تربوى سليم والتحديث التربوى الذى يتم السعى إليه للوصول إلى الغايات البعيدة هو مجاراة روح العصر من التقدم العلمى ولكن فى ضوء من الواقع الإجتماعى والقيم الأخلاقية والإمكانات البشرية والفنية والمادية الحاكمة للمجتمع.

٤- الفكر التربوى وتقويم الفلسفات التربوية: تؤكد دراسة الفلسفات التربوية المختلفة أن تطور الفكر التربوى يستطيع أن يعطى صورة بقدر المستطاع عن النظريات الحاكمة للمجتمعات الإنسانية حيث أن الوقوف على طبيعة هذه الفلسفات ورصد حركتها فى بناء الإنسان فى ذاته وفى تفاعله مع قوى الطبيعة والمجتمع من حوله يعد أمراً بالغ الأهمية فى تحقيق المبتغى من وراء دراسة هذه الفلسفات.

٥- الفكر التربوى والبناء الحضارى للأمة: تعد دراسة تطور الفكر التربوى من الأمور المهمة فى البناء الحضارى للمجتمع نظراً للظروف التى يمر بها فإصلاح الفكر وإعادة التشكيل وتصويب مسار المعرفة لتنضبط بمنطلقاتها وتحقيق أهدافها إنما يستدعى رؤية شاملة ومتوازنة ومتكاملة.

٦- المساهمة فى معرفة التراث التربوى: إن دراسة الفكر التربوى من شأنها أن تسهم فى معرفة التراث التربوى بما يحويه هذا التراث من كل ما خلفه الإنسان من موروثات فكرية أو نشاط بشرى مكتسب يتوارثه الأفراد بما يسهم فى إستلهام خبرات تساعد فى حل ما يواجهه المجتمع من مشكلات

تطور الفكر التربوي :

ان التربية السليمة لا تفيد الفرد فقط بل تفيد المجتمع بأكمله والتربية تكون بمعرفة الفرد ما هو الخير وتقديره إياه وهو ايضآ المنطق الأساسي لتكريس قيم الأصالة في المجتمع في ايطار مشروع حضاري متكامل .

وإذا كان الهدف الأساسي للفكر التربوي، هو المشروع الحضاري، فإنه يستند بالضرورة إلى عملية التواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل من جهة، والتفاعل مع معطيات المجتمعات البشرية، على اختلاف نماذجها، زمنياً ومكانياً، من جهة أخرى.

من هنا يبدو البحث في موضوع الفكر التربوي العربي، مرتبطاً بالبحث في مضامين الفكر التربوي العالمي، في ماضيه وحاضره، وفي اهتماماته وتطلعاته، وفي أساليبه وأغراضه، على أن ذلك الارتباط لا يعني بأي شكل، الالتزام بتوجهات تربوية تخالف طبيعة المجتمع العربي، أو تعد غريبة بالنسبة لأبنائه، وإنما تعني التفاعل مع ما أنتجته البشرية من نظريات تخدم التوجهات العامة للشعوب، وتقع في إطار الأنسنة، بحيث يتحول هذا التفاعل باتجاه تطوير النظريات المحلية، وتعميق علاقتها مع طموحات أبناء المجتمع يقول د، رضوان السيد في دراسة له :تاريخ التجربة التربوية لأي أمة ولأمتنا على الخصوص هو تاريخ لجدل علاقة الخاص بالعام في المجال الحضاري للأمة وثقافتها، والخاص في هذه الحالة هو مصالح وتفاصيل حياة الجماعات والفئات التي تشكل البنية الداخلية للأمة، والعام هو المنطق الداخلي الجامع للأمة في بُناها، الذي يشكل إطارها الأيديولوجي، أما العلاقة من وجهة نظر العام فهي علاقة شمول وجمع وضبط، والعلاقة من وجهة نظر الخاص هي علاقة ضغط على جوانب الإطار، ورغبة في التوافق معه في النهاية.

حدد علماء القرن التاسع الميلادي في مجال التربية الاجتماعية مبادئ خمساً سمّوها بديهيات أو مسلمات رأوا أنها المرتكز في مجال عملية ضبط الفرد في قلب فئته الاجتماعية، وضبط الفئة في قلب الجماعة، وضبط الجماعة في قلب الأمة، إنها الحقوق الخمس: حق النفس، وحق العقل، وحق الدين، وحق العرض، وحق المال، والواضح أنه وإن كانت هذه الحقوق للأفراد في فئاتهم ومجتمعاتهم فإن مجتمعهم هو مجال ممارستها، حيث لا يمكن تصور هذه الحقوق إلا في إطار الجماعة، هكذا كانت التربية في المساجد والمدارس والدور همها التنشئة على الفهم الجماعي لهذه الحقوق من هنا كانت النظرة للفرد تنطلق من كونه عضواً في الجماعة.

فإذا فهم الأمر على غير هذا النحو وقع في سوء استعمال الحق، إن المنطق الداخلي للتجربة العربية هو الذي يُحدِّد المفاهيم لهذه الحقوق، وهو منطق جمعي، ولكي لا يبدو الأمر نظرياً بحتاً يمكن استلاب حق العقل والدين للنظر إليهما من وجهتي النظر الجماعية الشاملة، كما بدتا في المجرى الواقعي لصراع الأفكار في الجماعة وعليها، فقد رأى أكثر فلاسفة الإسلام أن العقل جوهر فرد وارد على الجسد والفرد من خارج ومنفصل عنه طبيعة ومصيراً، وهو سلطان الجسد والفرد فقط، هذه وظيفته وهي التدبير، بينما رأى فقهاء ومحدثون أن العقل غريزة شائعة في الجسد والإنسان داخله في صراع الغرائز، ولا تدبر الإنسان بمفردها بل يفكر الإنسان ويتصرف بوحي من توازن يقوم بين غرائزه التي يمثل العقل جزءاً منها، وكان مردود ذلك على المستوى السياسي أن رأى الفلاسفة نخبوية فئتهم هم اجتماعياً وتفوقها وانفصالها عن المجتمع، ونخبوية السلطة في المجتمع وجبريتها وانفصالها عن الناس، في حين رأى الفقهاء شيوع العقل في المجتمع كشيوعه في الفرد، وشيوع السلطة في الجماعة كشيوع العقل في المجتمع، وفي المجال الديني فإن التجربة التاريخية للأمة اعترفت بالواقع الذي ظهرت فيه دون أن تستسلم له أو تسحقه، ورأت أن هذا الواقع الديني يمكن تطويره نحو الأفضل والأكثر وحدة، لكن أفراداً وفئات صغرى رأت ابتداع فرق جديدة اجتهاداً، ومع أن التجربة التربوية الإسلامية تعلّم الالتزام بحق الدين لكل فئة، فإن مبتدعي الفرق هؤلاء لاقوا ضغوطاً شديدة من جانب الجماعة على اختلاف مذاهب فئاتها للتخلي عن بدعهم، لا لأن الديانات القائمة كانت مهددة بالجديد الطارئ بل لأن الفردانية في فهم الحق كانت تهدد بضرب المنظومة كلها عن طريق زعم العقلانية والاستئثار بالحق ونفي الآخر، إن حق الدين مستغلاً بطريقة فردية فشل في إنتاج ديانات فأنتج فرقاً كان همها ضرب منظومة الجماعة لكي تتمكن هي من تثبيت أقدامها والاستمرار والسيطرة اجتماعياً.

وأنتجت التجربة التربوية العربية الإسلامية أدوات وقنوات لتربية فئاتها وناشئتها على البديهيات الخمس في إطار مبدئيات العدالة والمساواة والوحدة والرحابة، فكانت الكتاتيب والمساجد والجوامع والخانات والمدارس والأربطة والخوانق تعبيرات متنوعة عن الصيرورة المتجددة للناس والتاريخ والمصالح على أرض الإسلام، وكانت دعوات التربويين تتوسل طريقة لاستيعاب الحقوق الخمس هي (كما قيل عن كتب الجاحظ) تعليم العقل أولا والعلم ثانياً، وإذا ارتبط العقل بالروح العام للجماعة باعتبار غريزتها الشائعة فيها، والمكتنه لعمقها وثرائها ورحابتها، فإن العلم كان الاسترجاع المتجدد للتجربة التاريخية للجماعة، وبداياته هي التي تحدد مرماه ومعناه، كان يبدأ تحفظاً للقرآن وتعلماً للحديث والآثار فرواية للأخبار والشعر فيكتمل استرداد التجربة الجامعة في جوانبها الدينية والتاريخية والعقلية فيتفتح عضو الجماعة عليها من ناحية، وينضبط داخلها من ناحية أخرى، فإذا تمايز عضو في جماعة أو تمايزت فئة في مستقر فإن وحدوية التجربة، ووحدة الاسترجاع، ووحدوية الفهم للحقوق، كل ذلك كان كفيلاً بأن يبقي التمايز في حدود، ويضبط حركيته، ويوضح علله، فيضعه على جادة الاستيعاب أو الجدل أو الضغط، وهكذا فإن الوحدوية التي تميز التجربة التربوية الإسلامية تضبط من ناحية، لكنها لاتحجر من ناحية أخرى لأنها تجربة في إطار صيرورة لحركة جماعة ضخمة من الناس، ولأن مبادئها الخمس تحول دون التجميد باسم الوحدة.

وهنا تبدو جوانب التجربة التربوية التاريخية للجماعة في ثلاثة مواقع : موقع وحدة التجربة من ناحية، وموقع تجددها في الإطار الشامل لصيرورة الأمة من ناحية ثانية، وموقع قدرتها على مواجهة الخارج المقتحم لرؤيتها الحضارية من ناحية أخيرة، وإذا كان لنا أن نحدد الملامح التربوية التي أنتجتها البشرية، في مختلف عصورها

فإننا نشير إلى تصارع رؤيتين تربويتين : رؤيتنا التاريخية التي لخصها الإمام الغزالي بأنها عقل في شرع في جماعة، والرؤية الأخرى التي لخصها ماكس فيبر بوصفها فرداً يواجه آخر في فئة تواجه أخرى في مجتمع يواجه آخر من أجل السلطة والدولة والهيمنة على الداخل والخار

اهم العوامل التي اثرت على حركة الفكر التربوي :

- العامل الديني اذ تعد العقيدة هي المرجع كما في الاسلام.
- العامل الجغرافي الأرض هي الاطار الطبيعي لحياة البشر ونشاطهم ويختلف أثرها على الفكر من أراضي جبلية إلى سهلية.
- العامل السياسي سياسة التعليم في مجتمع معين انعكاس لنظامه السياسي.
- التربية قوة اجتماعية خطيرة يستخدمها المجتمع أو الدولة لتحقيق غابات أو أهداف سياسية خاصة.
- التوجهات السياسية ونوعية السلطة الحاكمة كانت عاملاً رئيسياً في تشكيل الفكر التربوي.

الباب التاسع
الاعلام والفكر

فى عالمنا المعاصر تطورت وسائل الاتصال، ونقل الأفكار والمعلومات، بشكل لم يسبق له مثيل، فهي تنتقل بسرعة الضوء والصوت، وتغزو العالم في ثوان معدودة وهناك أعداد ضخمة من المؤسسات والأجهزة والأدوات الخاصة بالتثقيف الجماهيري وتكوين الرأي العام، وتصميم الشخصية وتعد وسائل الاعلام والمعلومات، هي القوة المهيمنة على التفكير والفعالة في تكوين نمط السلوك.

فالاعلام يساهم في تكوين الفكر السياسي والدعاية للشخصيات والأفكار، كما يساهم مساهمة فعالة، لا سيما الاعلام المصور،كالتلفزيون والسينما والفيديو والمجلة فى الاغراء الجنسي، والتعريف بالازياء والسلوك والافكار والإثارة، وتوجيه الراي العام والشباب- لا سيما في مرحلة المراهقة- مهيأون أكثر من غيرهم، لتقمص الشخصيات، والتأثر بالشخصيات التي تظهر على شاشة التلفزيون، أو السينما، من الممثلين وعارضي الازياء، ورجال العصابات، وشخصيات العنف... الخ.

كما يتأثر الشباب بالشخصيات التي تمثل دور البطولة السياسية والاجتماعية والثورية وعظماء التاريخ، ذلك لأن المراهق- من الاناث والذكور- في هذه المرحلة هو في طور تكوين الشخصية، وانتقاء المثال الذي يتأثر به.

وحيث إن الغرائز والمشاعر، لا سيما غريزة الجنس، في قمة القوة والعنفوان، والضغط على المراهق، وتبحث عن طريق للتعبير والتفريغ، فإن وسائل الاعلام ساهمت مساهمة فعالة في اثارتها عن طريق الافلام والصور الخليعة وعن طريق القصص الغرامية والأدب والثقافة، كما ساهمت أفلام العصابات والاجرام في حرف الكثير من المراهقين وتدريبهم على اقتراف الجريمة، لذا فإن الرقابة في بعض دول العالم تمنع عرض العديد من الافلام الجنسية، وأفلام العصابات، كما تمنع أحيانا حضور المراهقين إلى قاعات عرض تلك الافلام.

وتفرض بعض دول العالم الرقابة على الأفلام الخليعة والمثيرة، أو التي تحث على تناول المخدرات والجريمة سجل الدكتور اسكندر الديلة نتيجة إحصائية قام بها في لبنان، تخص مشاهدة الفيديو، جاء فيها: (أن مشاهدة الافلام الاجتماعية والعاطفية حازت على الدرجة الأولى، وحلت الافلام البوليسية في المرتبة الثانية...).

وجاء في تقرير آخر: لقد تبين من دراسة اجريت في الولايات المتحدة على ١١٠ من نزلاء مؤسسة عقابية أن ٤٩% من هذه المجموعة أعطتهم السينما الرغبة في حمل السلاح و١٢- ٢١% منهم أعطتهم السينما الرغبة في السرقة وقتال الشرطة.

ومن خلال دراسة أجريت على ٢٥٢ فتاة منحرفة بين سن ١٤- ١٨ سنة تبين أن ٢٥% منهن مارسن العلاقات الجنسية نتيجة مشاهدتهن مشاهد جنسية مثيرة في السينما و٤١% منهن قادتهن المشاهد إلى الحفلات الصاخبة، والمسارح الليلية و٥٤% منهن هربن من المدرسة لمشاهدة الأفلام و١٧% تركن المنزل لخلاف مع الأهل حول ذهابهن إلى السينما.

وجاء في تقرير هيئة الصحة العالمية عن انحراف الأحداث، وعلى لسان أحد القضاة الفرنسيين العاملين في ميدان الأحداث ما يأتي: لا يخالجني أي تردد عن بعض الأفلام، وخاصة الأفلام البوليسية المثيرة أنها السبب فى معظم الأثر الضار على غالبية حالات الانحراف لدى الأحداث وفي انجلترا تمكنت بعض الدراسات من خلال استجواب ١٣٤٤ شخصية متخصصة فى العلاقة بين السينما وانحراف الأولاد دون السادسة عشرة فأجاب ستمائة منهم بوجود علاقة بين انحراف الأحداث والسينما كما اظهرت بعض الدراسات في الغرب أن بعض السرقات الكبيرة كان الدافع اليها تردد الأحداث بشكل متكرر إلى قاعات السينما.

وهكذا يتضح أن مشاهدة الافلام العاطفية، ومنها الجنسية هي في المرتبة الأولى، وأن مشاهدة الأفلام البوليسة يأتي في المرتبة الثانية، كما أكدت الدراسات العلمية، أن المراهق في هذه المرحلة يسعى من خلال المحيط لتكوين شخصيته، وهو سريع التأثر والتقبل؛ لوجود العواطف والغرائز والشحنات النفسية والجسدية المتوثبة، والباحثة عن التعبير والتفريغ ومن هذه الاحصائية ندرك أهمية العمل الاعلامي في تكوين السلوك العاطفي والغريزي، والاقدام على تقمص شخصيات أبطال الافلام والمغامرات.

وتعد وسائل الاعلام سواء كانت التقليدية (كالصحف أو التليفزيون أو الإذاعة)أو الوسائل الحديثة كالصحافة الالكترونية ومواقع الاخبار والمعرفة المختلفة على شبكة الانترنت، وكذلك مواقع التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر والتي تعد الآن أحد وسائل نقل الاخبار والأكثر شهرة فى العالم، كل هذه الوسائل لها تأثير كبير على تشكيل بناء الوعى والمعرفة للفرد أو المجتمع ويساهم هذا البناء في تشكيل رؤية الفرد والمجتمع تجاه قضايا مجتمعه والقدرة على تحليلها واستيعابها لاتخاذ السلوك المناسب حول هذه القضايا، فوسائل الاعلام أيضا قادرة على تغير سلوك وأنماط المجتمع.

وقد يكون تأثير وسائل الاعلام فى بعض الاحيان قويا جدا وقادر على نشر نمط سلوكى وثقافي واجتماعى ينتهجه الفرد أو المجتمع، وفى بعض الاحيان يكون تأثير وسائل الاعلام أقل تأثيرا ويستطيع الفرد أو المجتمع الخروج من النمط الفكري والاجتماعى والسياسى الذي ترسمه وسائل الاعلام، ويتوقف ذلك على مدى رغبة الفرد أو المتلقى للتعرض للرسائل والمعلومات التى تبثها وسائل الاعلام المختلفة فكلما كان الفرد أو المتلقى لديه رغبات واشباعات حول معلومات أو قضايا معينة فانه يتجه إلى وسائل الاعلام لاشباع رغباته وتطلعاته بما يسمى نظرية التعرض الانتقائي.

ولكن فكرة أن وسائل الاعلام دائما ماتكون ايجابية فيما تقدمه من معلومات ليست صحيحة فى المطلق فيؤكد عدد كبير من علماء الاعلام والاتصال أن عدد كبير من الدول والانظمة السياسة تسعى للهيمنة على وسائل الاعلام ليبث من خلالها أفكار واتجاهات بغرض التأثير على الجمهور لصالح النظام السياسى أو المهيمنين على وسائل الاعلام ومن الممكن ان تكون هذه الأفكار مشوهة بغرض ايجاد حالة من الانقسام بين المواطنين تجاه قضايا معينة.

وهناك دراسات تؤكد أن الفرد الذي لايشاهد التليفزيون بصورة كبيرة تكون لديه مصادر متنوعة لعدد كبير من الاخبار بينما من يتعرض بصورة كبيرة للتليفزيون تكون لديه مصادر محدودة للمعلومات، لذلك الاعتماد على التليفزيون أو وسيلة إعلامية واحدة كمصدر وحيد للمعلومات ليس صحيحا لتكوين رؤية شاملة ومتنوعة، فالقراءة والاطلاع فى خلفيات الاحداث أمر هام سواء لتكوين بناء فكرى متميز ومتنوع، وفى نفس الوقت يكون قادر على معرفة إذا كان الاعلام يضلله ويوجه لصالح الدولة أو النظام السياسى أو المهيمنين على الاعلام سواء من رجال الأعمال أو من المقربين من السلطة أو فلول النظام القديم كما هو يحدث الآن فى بعض المشاهدات التي سنقوم بشرحها فى السطور التالية، أو إذا كان الاعلام بالفعل يعبر عن واقع فعلى يعيشه المواطن ويعبر عن قضاياه الأساسية ويجمعهم على القضايا المؤثرة وصاحبة الأولوية للاستكمال عملية الإصلاح التي بدأتها ثورة يناير.

لذلك يجب أن يكون مشاهدة وسائل الاعلام وما تقدمه من معلومات تتبعها نظرة تحليلية وتفكير من المشاهد فى ما يجب أن تطرحه وسائل الاعلام من قضايا هامة تشكل فيما بعد مايسمى الرأي العام الواعي تجاه القضايا التى يجب العمل عليها فى الوقت الحالى لتحقيق مايصبو إليه كل مواطن مصرى وتنحية جميع القضايا الخلافية التى تعطل من إقامة حياة ديمقراطية وبناء دولة أخرى قوية فى جميع المجالات، وقد بدأ تاريخ مصر الجديدة في ٢٥ يناير يوم ثورة الشعب.

تأثير التكنولوجيا على الفكر:

ما زالت وتيرة التقدّم العلميّ والتكنولوجيّ متسارعة في مختلف ميادين الحياة، وتخطو بخطى واسعة باتجاه المزيد من التعقيد التقني والدخول في جميع التفاصيل اليوميّة للفرد، وإلغاء الكثير من الأنشطة التي كانت تعتمد على الجهد الوظيفي، ونكاد لا نرى مجالا من المجالات يخلو من التقنيّة، فتحوّل العالم فعليّاً إلى قرية صغيرة مترابطة أثيرياً، وجعلت الإنسان على تماسّ مباشر مع العولمّة، وهكذا تمّ ردم الفجوات الزمنية عبر وسائل الاتصال والتواصل المختلفة، ولا شك أن الإعلام كان من أهم المجالات التي أسهم التقدم التقني في تطويرها، فصار أقوى مؤثرات العصر الحديث والموجه الفاعل للثقافة المعاصرة سياسياً واجتماعياً بشقيه السمعي والبصري، وقد خلق هذا الوسيط (الميديا) واقعاً لنمط التفكير المعاصر، ونستطيع أن نعيد صياغة العنوان بأثر توظيف الحدث السمعي والمرئي وانعكاسهما على الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي بالنسبة للمتلقي.

والخوض في هذا الحديث ذو مستويات وأبعاد كثيرة فنحن نتكلّم عن إعادة تشكيل العقل على أساس سلطة الإعلام ببعدها التكنولوجي إذ أن مفهوم الثقافة والتفكير قديماً بنيَ على عدد من المعطيات الذاتية والمعنوية كتراكم المعرفة والتواصل العلمي والثقافي والاجتماعي وملاحقة مصادر المعلومات، بينما تلغي التكنولوجيا كل هذه المعطيات وبالتالي تخلق نوعاً من غياب النضج الفكري واستبعاد افتراض أن تكون هناك حركات للنهضة الفكرية وغيرها، حيث ينقسم زمن الثقافة في عصر العولمة إلى ثقافة قديمة تعتمد على الوعي التراكمي للمعرفة تقابلها ثقافة حديثة تعتمد على الميديا وعمليات التواصل التفاعلي، وبالتالي تحويل عادة القراءة المبنيّة على الممارسات المحسوسة إلى قراءة الشاشة مُحْدِثةً غيابا للذة القراءة القديمة التي تشرك وعي القارئ في الكتابة.

صنعت التكنولوجيا واقعا لم يكن قابلا للوجود يوماً من الأيام إلا في أفلام الخيال العلمي، مثل: المصانع التي تديرها الآلات، والسفر إلى الكواكب البعيدة، وهذا غيّر تعامل الإنسان مع الكتاب والمكتبات ومع الإعلام ووسائل الاتصال والمعرفة وخلق الحاجة إلى وجود فلسفة معاصرة تطرح اسئلة أخرى بعد أن تكفّلت التكنولوجيا بالإجابة على الأسئلة العلمية القديمة وعلى الرغم من أن هذه التكنولوجيا قربت المسافات بين المؤسسات العلمية والمعرفية وجعلت كل شيء تقريباً متاحاً وبأقرب السبل وأيسرها، وجعلت الشاشة الرفيق الدائم الذي تعرف من خلاله أخبار الصحف والمجلات وآخر الإصدارات ومواعيد رحلات الطيران وغيرها، إلا أن ذلك قد خلّف تراجعاً في نسبة الإقبال على الثقافة المدونة، لأنها حلّت محل فعل التراكم المعرفي وثقافة التواصل والانفتاح لسهولة الوصول إلى المعلومة إلكترونيا، مكثفةً كذلك من الحيّز المادي الذي يتحرك فيه ومن خلاله الإنسان.

إن أحد أسباب عولمة الفكر التي مهّد لها الإعلام هو الرغبة في اختراق فكر الآخر لتكون حدود الزمان والمكان والتاريخ ومسألة الهوية التي بقيت محافظة على استقرارها تحت التأثير والمؤثر بالحضارات والثقافات الأخرى مهددة إياها بنظرية نستطيع تسميتها بالمركزية الغربيّة.

والنتيجة غير مطلقة في تأثير التكنولوجيا والإعلام على الفكر أنه:

١. استطاع تحفيز طاقة النقد في جيل الشباب وإطلاق الطاقات غير الإبداعية (الانفعالية) بهموم ذاتية وشخصية.

٢. أضافت التكنولوجيا شقّاً ثانيا لتاريخ المثقف، يتمثّل الأول في وجوده المعرفي ونشاطه الإبداعي الفعلي على الأرض وفي الواقع المعاش زائداً وجود الشخصي والثقافي في العالم الافتراضي أيضاً، فظهر في سجل حياة كل مثقف صفحة رقميّة تمثّل علامة في سيرته الذاتية.

٣. كان سبباً في ظهور التعصّب بأنواعه على أسس افتراضات مارسوا لأجلها هذه الثقافة على وهم أنهم يعيشون التميّز الحضاري.

٤. غياب الشخصنة، فأصبح لدينا مثقف مرئي/ ومثقف وهمي بالتالي خلق شهرة آنية تستند إلى آليات عمل غير مكتملة لتصبح ميولاً فردية تعيش أزمة ظهور.

تأثير الإعلام على فكر الشباب العربي:

شكل الإعلام في واقعنا المعاصر عصب الحياة، ولا ينكر أحد مدى الانتشار الواسع للبث الإعلامي سواء الإذاعي أو الفضائي، أو حتى المواقع الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية، وتجاوزه لجميع الحدود وتخطيه أقصى المسافات، وأصبح أثره واضحاً على كافة الأصعدة، ولا شك أن طبقة الشباب من الطبقات المستهدفة لجميع الجهات، إذ لا يخفى ما لهذه الفئة من تأثير على مجتمعاتها وبالتالي على مكانة بلادهم - سلبًا أو إيجابًا - في الواقع المعاش.

يمثل الشباب في البلدان النامية أسرع شرائح سكان العالم نمواً، كما يشكل الشباب تحت سن الخامسة والعشرين أكثر من نصف سكان البلدان النامية البالغ عددهم خمسة بلايين نسمة، ومن ثمّ، فإن الشباب لا يمثلون المستقبل فقط، بل الحاضر أيضاً، ونتيجة للعولمة والتقدم التكنولوجي ، ازداد التواصل فيما بين شباب اليوم كثيراً عن ذي قبل، وأصبح صوتهم مؤثراً على نحو أكبر، فهم يشكلون مصدراً لم يستغل بعد لتحقيق التنمية والتغيير والتقدم.

العولمة والإعلام والفكر:

لعل الشباب هم المعنيون بعصر العولمة وقضاياه ومشكلاته، فالعولمة مشروع كوني يطمح واضعوه ومفكّروه والداعون إليه إلى فرض ثقافتهم فى المستقبل على العالم ، لذا فإن الجيل الجديد هو الأسبق فى التعامل مع هذه العولمة وأدواتها، فالكمبيوتر والإنترنت وشبكات المعلومات المعقدة أصبحت في متناول أيدي الشباب في سهولة ويسر، بينما تعتبر هذه الأشياء بالنسبة للأجيال الأكبر سناً معضلة ، كما أن أنماط المعيشة التي تطرحها العولمة من مأكل ومشرب وعادات ثقافية موجّهة بالدرجة الأولى لأجيال الشباب، لأنهم الأقدر على الاستجابة والتقبّل السريع لأي مفاهيم جديدة خارجة عن المألوف، خاصة إذا كانت تقدم لهم بوسائل مبهرة وبطرق تقنية تؤثر في نفوسهم.

ونظرة سريعة على واقع شبابنا اليوم تكشف لنا مدى عزوف الشباب عن المشاركة في قضايا المجتمع، والابتعاد عن الأنشطة السياسية والاجتماعية، وهذا ناتج عن طول الاستبعاد الذي مورس ضدهم وعزلهم عن الحياة العامة خاصة السياسية سواء في المدارس والجامعات أو في المنظمات الشعبية والديمقراطية المحدودة، فشبابنا اليوم يسعى خلف الإعلام الخارجي باحثاً عن الحقيقة، التي يشك في صدقها في إعلامه الرسمي، متصوّراً أنه سيجدها عند الغير، وهذا بداية الانسلاخ الثقافي وفقد الثقة في ثقافته والقائمين على تسيير شئونه، ومؤشر إلى سهولة السقوط تحت تأثير أي إعلام معاد له ولوطنه وتراثه الثقافي والحضاري، وسنرتكب أخطاء أكثر فأكثر إن نحن تصوّرنا أن بإمكاننا الاستمرار في إبعاد جيل الشباب عن المشاركة الكاملة في إدارة شئون حياته ورسم مستقبله، فالكبار في عصر يقوده الشباب لن يتمكنوا من ضبط إيقاع الحياة دون الشباب ومشاركتهم الكاملة.

وقد دلت الدراسات والأبحاث الحديثة على أن المجتمعات،التي تتعرض للتغير التقني السريع لا يعود الآباء فيها يملكون ما يقدّمونه لأبنائهم، لأن معارفهم تفقد ملاءمتها للواقع الجديد ، فكيف بزمان كزماننا الذي فاقت سرعة التغير التقني فيه بملايين المرات سرعة التغيرات التقنية التي أصابت المجتمعات البشرية القديمة، فجيل الآباء في زماننا ما عادوا يملكون معظم الإجابات عن أسئلة أكثر وأعقد مما لا يقاس مما توافر لمن سبقهم، فهم يكادون أن يفقدوا الموقع الذي يخوّلهم أن يقولوا للصغار ماذا يفعلون وماذا لا يفعلون، وأصبحت العلاقة بين الطرفين بسبب التقنية الجديدة حواراً لا تلقين دروس وأوامر.

ومع التطورات العلمية والتقنية الهائلة، وثورة الاتصالات والإنترنت والفضائيات، ودخول العالم في مرحلة العولمة، كمنظومة ثقافية سياسية اقتصادية اجتماعية، يمكن ويجب أن تستغل التأثيرات القادمة عبر الإنترنت والفضائيات لزيادة وعي الجيل الشاب ومساعدة المنظمات السياسية والاجتماعية لكي تعمل من أجل:

١ـ تشجيع المواهب والهوايات المختلفة لدى جيل الشباب لملء الفراغ، وتوجيههم التوجيه الملائم والسليم.

٢ ـ الاهتمام بقضايا التعليم التي تخص الشباب والتركيز على أن تتم العملية التعليمية على أساس العقل والمنهج العلمي وليس على أساس الحشو والتلقين.

٣ ـ محاربة الجهل والأمية في صفوف الشباب، لأن الجهل والتخلف يتولد عنه أفكار متطرفة قد تدفع بالشباب والمجتمع إلى دوامة العنف والتطرف.

٤ ـدراسة المشاكل الاجتماعية السائدة بوسائل بحث فردية وجماعية ووضع التصورات العملية لهذه المشاكل.

٥ ـ غرس القيم الديمقراطية لدى الشباب من خلال تكريس تقاليد النقاش والحوار الحر وتبادل الرأي بين الجماعة ، ونجاح هذا التوجه يعني تعزيز المفاهيم الديمقراطية في المجتمع ككل.

٦ ـ نشر الوعي السياسي والثقافي بين جيل الشباب، الذي يمكنهم من الإلمام بأزمات ومشاكل مجتمعهم.

أهم المصادر والمراجع

نحو تاريخ مقارن لأديان التوحيد- محمد أركون.

قراءة بشرية للدين- ترجمة أحمد القبانجي ومحمد الشبستري .

السلطة في الإسلام- عبد الجواد ياسين.

الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد - سعود العريفي.

الأسس القرآنية للتقدم-د / محمد أحمد خلف الله.

تاريخ الفكر العربي الإسلامي - محمد أركون.

تجديد الفكر الإسلامي - د / حسن الترابي.

تذكرة الحفاظ، - الحافظ الذهبي.

العلمانيون والقرآن الكريم - د. أحمد الطعان.

التطبيق الصرفي - د / عبده الراجحي.

تهافُت الفلاسفة - أبو حامد الغزالي.

ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق - الشيخ يوسف القرضاوي.

خصائص التصوُّر الإسلامي - سيد قطب.

سنن أبي داود- سن ابن ماجه - السنن الكبرى للإمام النسائي.

العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب - محمد حامد الناصر.

الفكر الإسلامي نقد واجتهاد- محمد أركون ترجمه هاشم صالح.

الفكر الأصولي واستحالة التأصيل- محمد أركون.

قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر - حسن حنفي.

قضية التنوير في العالم الإسلامي - محمد قطب.

مستقبل الثقافة في مصر - طه حسين.

نشأة الفِكْر الفلسفي في الإسلام- د / علي سامي النشار.

منهج كتابة التاريخ الإسلامي - محمد السلمي.

العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب - محمد الناصر .

الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد- سعود العريفي.

الأسس القرآنية للتقدم - د / محمد أحمد خلف الله.

تجديد الفكر الإسلامي، د / حسن الترابي .

ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، الشيخ يوسف القرضاوي.

خصائص التصوُّر الإسلامي - سيد قطب.

العلمانيون والقرآن الكريم- د. أحمد الطعان.

قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر- حسن حنفي .

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ أبو الحسن الندوي .

مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين.

معالم في الطريق- سيد قطب.

الملل والنحل، أبو الفتح الشهرستاني.

المنطق الحديث ومناهج البحث- د / محمود قاسم.

منهج كتابة التاريخ الإسلامي - محمد السلمي.

نشأة الفِكْر الفلسفي في الإسلام- د /علي سامي النشار.

التربية الإسلامية وفلاسفتها- محمد الإبراشي .

أصول التربية الإسلامية- أمين أبولاوي.

تطور الفكر التربوي- خضر فخري.

تراثنا بين ماضي وحاضر- عائشة عبدالرحمن.

تذكرة السامع و المتكلم في أدب العالم و المتعلم - بدر الدين ابن جماعة.

الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره- مصطفى زياد.

اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي- سعيد إسماعيل على .

فهرس الكتاب